الفصل الخامس

برنامج للتقدم

ان كتابا يدور حول المدارس الشاملة لا يحق له بالمرة انتحال هذا العنوان إذا لم يحاول على الأقل — مهما كانت قيمة لمحاولته — تناول الموضوع بطريقة شاملة حقاً ، وهدف هذه الدراسة هو أن تساعدنا على فهم الحاضر وأن نتخذ قرارات ذكية بصدد المستقبل . إذن ينبغى علينا أن نتطلع إلى الأمام وأن نأخذ فى اعتبارنا ما يحتمل أن يكون القضايا الرئيسية التى سوف تشغل انتباهنا خلال السنوات العشر القادمة بل وربما بعد ذلك .

نظام تربوى سبق اصلاحه :

مادام مبدأ المدرسة الشاملة قد صار مقبولا ، فيجب أن يولى الانتباه الناقد إلى الشكل الذى يأخذه هذا المبدأ فى التطبيق ، وثمة علامة استفهام ضخمة تقف بازاء المشروعات المختلفة الخاصة بإعادة التنظيم التى يجب ترتيبها عند ما يعادل تنظيم الحكم المحلى نفسه وفق تقرير مود Maud .

يجب على أى قانون تعليم جديد أن يأخذ فى اعتباره هذه العوامل الجديدة . ربما يجب التخلص عن مفهومى التعليم «الابتدائى» والتعليم «الثانوى» ويحل محلهما مفهوم التعليم الإلزامى حتى سن السادسة عشرة ، على أن تتحدد مراحله فى ضوء المقترحات العريضة التى تقدمها وزارة التربية حول طبيعة المنهج الدراسى الذى ينفذ فى كل مرحلة ، ولعل من المستحسن أن تكون المراحل على النحو التالى : من ٥ إلى ٨ سنوات ومن ١٢ إلى ١٦ ، وان كان من الممكن أن يتوزع التلاميذ فى مجموعات مختلفة لمجابهة الحاجات المحلية (كما هو الحال فى السويد) مثلا — الأطفال فيما بين ٥ و ١٢ سنة قد

يتواجدون أحيانا بمدرسة واحدة ، أو قد يكونون فيما بين ٨ و ١٦ سنة أو فيما بين ١٢ — ١٨ سنة (كما سنوضح فيما بعد) .

ويجب أن تشمل السنة الأولى من التعليم الاجبارى نصف النهار فقط للحضور الاجبارى ويجب أن يشجع أطفال ما قبل الخامسة على الانتظام اختياريا لنصف اليوم بالمدرسة .

وبعد السادسة عشرة يكون التعليم اختياريا . ولسوف يتخذ هذا تنوعا كبيرا من حيث أشكاله . تكون هناك دراسات لكل الوقت وبوجه خاص بالمعاهد المختلفة الأنواع ، ولكن يستمر البعض منهم ملتحقين بالمدارس ، ويجب أن يقتصر الالتحاق بهذه الدراسات على أولئك الطلاب القادرين على الإفادة منها وألا يحد من القبول النقص فى الأماكن — وهو مبدأ مقبول فى تقرير روبنز Robbins(١)

وتكون هناك أيضاً دراسات متعددة الأنواع لبعض الوقت، مثال ذلك البرامج الدراسية التى تقدم للعاملين باخلائهم من العمل فترة معينة Sandwich أو الإخلاء من العمل يوما فى الأسبوع day release . والدراسات المسائية فى كل مستوى بما فى ذلك الدرجات الأولى بالجامعات ، ولسوف يتوافر حافز منشط له قيمته بانشاء الجامعة المفتوحة Open University أو جامعة الهواء .

ويحتاج التنوع الهائل بعد السادسة عشرة إلى جعله مناسبا، وهذا قد يتسنى تحقيقه على أحسن صورة تحت (خيمة الجامعات الشاملة) ، ويحتمل بعد تقرير مود Maud أن يكون لكل منطقة بالحكومة المحلية جامعة واحدة على الأقل فى نطاقها بالإضافة إلى كلية بوليتكنيكية (أو للفنون التطبيقية) وعدة معاهد للتكنولوجيا والتربية وربما لفروع أخرى من المعرفة،

---

(١) قسم ٣١ : « لقد أخذنا ببديهية هى أن الدراسات بالتعليم العالى يجب أن تكون متاحة أمام جميع الراغبين فيها من أولئك الذين تؤهلهم قدراتهم وتحصيلهم للانتظام فيها .

وهناك بالفعل حاجة ملحة لرقابة شعبية أكثر على التمويل وإدارة الجامعات (دون التحكم فى حريتها فى تدريس ما تراه صوابا) ؛ وتحتاج الجامعة والمعاهد وسلطة التعليم المحلية إلى أن تجتمع فى تنظيم فيدرالى شبيه بتلك التنظيمات التى تشرف الآن على إعداد المعلمين لكى تضطلع بالتخطيط للتعليم بعد سن السادسة عشرة فى المنطقة ، ويؤكد هذا التخطيط الشامل ضمان فعالية استخدام المصادر وتوفير الفرص المناسبة أمام كل شخص ، وهو أيضاً يسهل نقل الطلاب من الدراسات التى فشلوا فيها إلى دراسات أكثر مناسبة لهم وهذا لا يتوافر حالياً فى نطاق الكلية أو الجامعة المنفصلة .

ويجب علينا فى السنوات المقبلة أن ننظر بعين أكثر حذراً إلى ما هو جار بداخل المدارس . فهل تترجم فى قالب اجتماعى أكثر ديمقراطية تلك الأفكار التحررية حول تساوى قيمة جميع الناس التى تلهم حركة إنشاء المدارس الشاملة؟ وهل تترجم إلى تدريس أكثر تعقلا وإنسانية لتاريخ العالم ولعلم الاجتماع؟ وهل تترجم أيضا الى توجيه نفسى لكل تلميذ وعناية أكبر وتضامن أوثق بين المدرسين والآباء ؟ نقول نعم ان كل هذا حادث بزيادة مطردة ، إلا أنه ما يزال غير موجود فى معظم المدارس الانجليزية ، ولكن هذا لا يعنى التقليل من المنجزات البطولية للرواد الأوائل الذين جعلوا مهمتهم الأولى أن يبرهنوا على أن المدارس كانت ناجحة فى ضوء المستويات التقليدية التى يفهمها الشعب ، ولقد ضربوا فى هذا بسهم وافر .

ولكننا لا نستطيع أن نقنع بذلك . فالواقع أنه لو كان النظام الشامل قد ظهر لمجرد اثارة حمية الصراع الفردى من أجل احراز القوة ومن أجل التسابق العنيف للحصول على مكانة اجتماعية ممتازة ، لكان من الأفضل عدم الشروع فى الاصلاح على الاطلاق ، وأنا كمؤرخ واقعى بدرجة كافية تسمح لى بالنظر إلى هذه النتيجة باعتبارها أكثر من مجرد احتمال ، ومع هذا فان

كفاح الانسان طوال حياته لتحقيق أشياء أفضل كما فى ذلك شق طريقه ببطء كالدودة فى الأرض ، إنما يبرهن أيضا على أن الواجب على كل منا أن يسهم ولو بأفضل القليل التافه الذى يقدر عليه لتحقيق هذا الهدف بطريقتنا الخاصة اذا ما كان للحياة أى هدف بالمرة ، وما من أحد يقرأ هذا الكتاب سوف يرى نهاية المطاف ، وكل ما نستطيع أن نؤمل فى القيام به هو أولا أن نفهم المشكلة ، ثم يتلو ذلك ابراز تصورنا الخاص عن الحل الصحيح ، ثم ثالثا العمل للوصول اليه بكل الوسائل الجيدة التى فى مقدورنا .

لقد قلت فى آخر الفقرة السابقة « بكل الوسائل الجيدة التى فى مقدورنا » . ولكن التاريخ مشحون بالرجال والنساء الذين أساءو توجيههم ولايمانهم أن الغاية تبرر الوسيلة ، أساءو إلى أنفسهم وإلى قضيتهم فى المدى البعيد بتصرفاتهم القاسية : منهم كروموبل فى دور جهدا Cromwell At Drogheda ورجال التفتيش . . . وستالين . . . وبطريقة أكثر احكاما أيضاً فان الاصلاح القائم على دوافع عديمة القيمة والذى يتم تحقيقه عن طريق التفاوض السرى والضغوط يكون فاسدا أيضاً . ان مورانت Morant [1] بطموحه ودكتاتوريته مثال منذر لجميع المديرين التربويين .

وما ينبغى علينا كاناس ان نقرره هو أن المقترحات المتعلقة بالتغيرات الهامة ينبغى إعلانها على الملأ قبل أن يتخذ أى قرار بإزائها بمدة طويلة ، مع إتاحة الوقت الكافى للمناقشة العامة . أن تكون المشاورة الكاملة مع الآباء والمدرسين والمديرين سابقة باستمرار لأى قرار تتخذه السلطة المحلية بالموافقة وهذا لا يعنى أن الواجب على الممثلين المنتخبين أن يتنازلوا عن حقهم وواجبهم فى اتخاذ القرار النهائى حتى ولو كان قرار غير شعبى . بل يعنى أن

---

(١) هو سير روبرت مورانت وكان وكيل الوزارة الدائم لوزارة التربية (Board Of Ed) فى الفترة من ١٩٠٣ — ١٩١١ .

جميع وجهات النظر يجب أن تسمع أولا . فمن الناحية الخلقية هناك الكثير مما يقال فى صالح الاقناع الحر والصريح ، ولا شىء عن العمل فى الخفاء . فلماذا نخاف من النور إذا كانت قضيتنا عادلة ؟ إن الحق عظيم وغلاب Magna Est Veritas Et Praevalebit.

المدارس المستقلة :

كما أن هناك حاجة إلى ترشيد نظام المدارس الحكومية وفى ميدان التعليم العالى وتعليم الكبار ، كذلك الوضع بالنسبة للمدارس المستقلة والمدارس المعانة يجب أن يتغير تبعا للمستويات الاجتماعية والتربوية الأعلى للمجتمع فى السبعينيات. وبعد مرور سنوات فإن الديموقراطية ماتزال دائبة فى طريقها ولم يعد من المحتمل وجود مدارس توفر أحسن الفرص للقلة من الأطفال فى بعض الجوانب على حساب الجميع. وفى بداية هذا الكتاب قارنت النظام التعليمى الثلاثى الطبق فى ثلاث فى انجلترا بطريق سباق رياضى مقسم إلى ثلاثة ممرات دون أن تكون له بداية محددة . ويجرى على الممر الداخلى الـ ٧٪ المحظوظون الذين يحضرون المدارس المستقلة أو الشبه مستقلة المعانة .

ما مزايا هذه المدارس إن للمدارس المستقلة فصولا أصغر بكثير من المدارس التى تقوم السلطات المحلية بإدارتها. ففى يناير ١٩٦٧ كان معدل عدد التلاميذ لكل معلم بالمدارس الابتدائية التابعة للسلطات المحلية ٢٨ تلميذا للمعلم الواحد، وكان فى ٩٢٠٠٠ فصل من بين ١٣٨٠٠٠ فصل عدد يتراوح بين ثلاثين وخمسين تلميذا أو أكثر فى كل منها . وكانت المدارس الأكاديمية أفضل حالا من ذلك قليلا . إذ كان المعدل بها ١٧ تلميذاً للمعلم الواحد ، ولكن كان هناك ٨٠٠٠ فصل من بين ٢٥٠٠٠ بكل منها أكثر من ثلاثين تلميذا . وبالنسبة للمدارس الشاملة كان المعدل ١٧ تلميذا لكل معلم ، وأكثر من ثلث الـ ١٥٠٠٠ فصل كان بكل منها أكثر من ثلاثين تلميذا .

وتختلف الصورة بالمدارس المستقلة المعترف بها اختلافا كبيرا . فهناك يصل معدل التلاميذ لكل معلم ثلاثة عشر تلميذاً بالمدارس الابتدائية ، ١٤ تلميذا بالمدارس الابتدائية الثانوية ، أحد عشر بالمدارس الثانوية . أما أحجام فصولها فإنها لم تعط ولكن من الممكن استنتاجها . وفى جميع المدارس الابتدائية والثانوية التابعة للسلطات التعليمية بانجلترا وويلز ، يوجد ٣١٨٠٠٠ مدرس بما فى ذلك العدد المحدود من الذين يدرسون لبعض الوقت، ونسبة عدد التلاميذ لكل معلم هى ٢٣ تلميذا . أما الأرقام المناظرة بجميع المدارس المستقلة المعترف بها فهى ٢٤٠٠٠ مدرس وبنسبة ثلاثة عشر تلميذا لكل معلم . وهناك مدارس مستقلة أخرى لم يتم الاعتراف بها كمدارس مستوفية للشروط ، وهى التى عدد التلاميذ لكل معلم متفرغ بها ١٤ تلميذا . ونحن نأمل أن تتلاشى هذه الفئة من المدارس تدريجيا . ويصل معدل التلاميذ لكل معلم فى المدارس الأكاديمية المعانة إلى ١٥٫٥ تلميذ .

لماذا تحظى المدارس المستقلة بمثل هذه المزايا فى هيئة التدريس ؟ السبب الأول هو أن هذه المدارس قد أعدت بحيث تستطيع انفاق مبالغ أكبر على المدرسين مما تستطيعه مدارس الحكومة أو مدارس المجالس المحلية . وتميل هيئات إدارتها المستقلة إلى الاعتقاد بأن المدرسين مهمون ، وان أهميتهم تزيد عن أهمية المبانى والتجهيزات ، وان كانت تلك الهيئات لا تتجاهل هذه الأشياء . وحيثما تسمح المصروفات المدرسية والاعتمادات فإن هذه الهيئات لا تكتفى فقط بتعيين عدد أكبر بكثير من المدرسين مما تفعل مدرسة السلطة المحلية ، بل انها تدفع لهم مرتبات أعلى من كادر المرتبات القومى للمدرس المعروف بكادر (بيرنهام Burnham).

ويبارك الآباء هذا الاتجاه . فهناك أعداد متزايدة منهم باطراد ترغب بإرادتها فى تسديد المصروفات التى تتزايد باستمرار وفق هذه السياسة .

وتبلغ المصروفات بالمدارس الشهيرة مثل ايتون Eton وهيثفيلد Heathfield ورودیان Roedean حوالى ٦٠٠ جنيه أو أكثر ، وقد تبلغ فى مدرسة ميلفيلد Millfield حيث لا يزيد معدل عدد التلاميذ لكل معلم عن خمسة تلاميذ ١٠٠٠ جنيه .

وبعض أعضاء الحكومة والخدمة المدنية الذين يعمدون كل سنة إلى خفض تقديرات الانفاق القومى على التعليم قد يوقعون فى نفس الوقت عن طيب خاطر الشيكات الضخمة لتعليم أطفالهم أو أحفادهم بالمدارس المستقلة . وهذا ينسحب على أعضاء حزبى العمال والمحافظين على السواء وعلى المدلين بأصواتهم وإن كانت نسبة أعضاء حزب العمال فى ذلك أقل بكثير من نسبة المحافظين .

والخطر واضح . ذلك أن الرجال والنساء الذين لم يتعرض أطفالهم للمبانى القديمة الحقيرة للمدارس الابتدائية المحلية ، وجنبوا الاجهاد والمخاطر التى يتضمنها امتحان ما بعد الحادية عشرة كذلك الفصول المزدحمة جداً بالمدرسة الشاملة أو بالمدرسة « الثانوية الحديثة » نقول أن مثل هؤلاء الناس يتوقع منهم أن يفقدوا بعض الإلحاح الذى يفرض الإصلاح . ولا شك أن أقوى وأصدق حجة على ضرورة التقريب بين جميع المدارس المستقلة والنظام الحكومى هى أنها تنقل أمثال شباب مكميلان Macmillans وهيلشام Hailshams وسنو Snows وبونهام كارتر Bonham-Carters إلى فصول المدارس المحلية . وقد تصبح فرصة التبكير بإجراء قوى لمحو النقط السوداء فى نظام تعليمنا القومى سانحة بين ليلة وضحاها .

أما المدرسون فإنهم اليوم أناس نادرون جدا ، فليس عددهم بكاف على الإطلاق .

وحتى تمنع السلطات المحلية المناطق الجذابة مثل بريتون Brighton

وبورنموث Bournemouth من إغراء المدرسين واجتذابهم على حساب مناطق أخرى مثل برمنجهام Birmingham وبوتل Bootle فإن هذه السلطات تتبع نظام الحصص أو التوزيع وهو النظام الذى وجدناه عادلا وضرورياً فيما يتعلق بتوزيع الطعام والملابس ومواد البناء والبترول ونحو ذلك خلال الأربعينات (زمن الحرب) ولم يكن يسمح للمواطن الغنى قانوناً فى أثناء الحرب بشراء أكثر من حصته المشروعة . ولكنه اليوم يستطيع أن يفعل ذلك فى مجال التعليم . فهو فى المتوسط يشترى خدمات عدد مضاعف من المدرسين لأولاده بإحدى المدارس المستقلة بينما لا يشترى الرجل الفقير لطفله إلا نصف ذلك العدد بالمدرسة المحلية .

ان قوة الثروة المستخدمة على هذا النحو يجب أن تنتهى . إنها تقترف الذنب ضد العدالة الطبيعية . وأكثر من هذا تشكل على المدى الطويل قنبلة زمنية تحت المدارس المستقلة ذاتها مما قد يؤدى فى النهاية إلى القضاء عليها تماما .

وثمة ثلاثة إصلاحات ملحة يجب الاضطلاع بها توآ . الأول وجوب ملاءمة جميع المدارس المستقلة نفسها مع معدل عدد التلاميذ لكل معلم بالمدارس الخاضعة لسلطات التعليم المحلية مع السماح بنسبة زائدة معقولة من هيئة التدريس للمدارس الداخلية سواء أكانت مستقلة أم خاضعة لنظام الدولة . أما الثانى فهو أن تقوم جميع المدارس سواء منها المستقل أم المعان بدفع مرتبات المدرسين بمقتضى كادر بيرنهام Burnham فقط مع عمل الاستقطاعات المستحقة عن الاستفادة بخدمات معينة كالإقامة بالمدرسة وغيرها . وإذا كانت شهرة المدرسة وجوها يجذبان الأشخاص المؤهلين تأهيلا عالياً والممتازين واللائقين فيجب ألا تسرق المدرسة الغنية صفوة الموهوبين سواء من المدرسة المستقلة الفقيرة أم من مدرسة السلطة المحلية

برنين المال فقط . أما الإصلاح الثالث كما سبق أن اقترحناه فى الفصل السابق فهو وجوب حدوث تبادل واسع النطاق ومستمر دائما بين المدرسين فيما بين المدارس المستقلة ومدارس الدولة ، وينبغى أن يدعم هذا بأن يختار معظم هيئة تدريس المدرسة المستقلة من رجال ونساء من الذين درسوا أنفسهم بمدارس الدولة .

وطبيعى أن يحتاج الأمر إلى فترة لا تقل عن عشر سنوات حتى يتسنى للمدارس المزدحمة نسبيا بالمدرسين مثل أيتون وهارو وونشتر وميلفيلد لكى تتواءم مع « الحصص العادلة » الجديدة دون أن ينجم عن هذا صعوبات لأفراد المدرسين . وحتى إذا تم هذا فإن التغير سوف لا ينتهى إلى نتائج حاسمة . فلقد قدرت لجنة المدرس « الخاصة » أنه حتى إذا كان قد عين بجميع المدارس المعترف بها مدرسون بحيث تتحقق نفس معدلات المدرسين المؤهلين إلى عدد التلاميذ (مقدرة حسب عمر التلاميذ وعدد التلاميذ فى المدارس الداخلية) كما هو مطبق بالمدارس التابعة للسلطات المحلية ... فقد كان فى عام ١٩٦٦ « فائض » نظرى بالمدارس المعترف بها يبلغ ١,٥٣٢ مدرسا مؤهلا و ٣,٤٣٤ مدرسا غير مؤهل »[1] .

وعندما يتم الاتفاق على هذه التغيرات فإن انجلترا ستكون قادرة على النظر إلى فكرة وتطبيق المدارس المستقلة نظرة أقل انفعالا . ويمكن أن يكتب الكثير ـ وقد كتب بالفعل ـ ومنها ماهو تفصيلى وممتع، وبعضه جذاب ومحذر عما يدور بداخل هذه المدارس وعن الأهداف التى أنشئت من أجلها . وللمدارس الخاصة نقادها من الداخل كما أن لها نقادها من الخارج ابتداء من اليك ووخ Elec Waugh حتى جون ويلسون[2] John Wilsou وفى عام ١٩٥٨ توعد حزب العمال الساخط عن حق بشجبها :

---

(1) First Report (H M.S.O., 1968,) Par 72.

(2) Public Schcols and Private Practice, 1962.

«إن هذا النظام (يقول التقرير متوعدا) يفسد اختيار الأفراد للوظائف ذات المسئولية إنه يحطم الفعالية القومية ويعتدى على الشعور بالعدالة . وأكثر من هذا فإنه يخلق انشقاقا اجتماعيا غير معقول يعتبر إضرارا عظيما بالتربية ككل ... ولسوف يوافق جميع أعضاء حزب العمال وبلا شك جميع الذين يرغبون فى تحقيق تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية على أن وجود هذا القطاع المستحوز على الامتيازات فى التعليم غير مرغوب فيه .»(١)

ولكن ما الذى اقترحه بعد ذلك بصدد هذه الحالة المزعجة ؟ لا شىء على الاطلاق . وثمة اجتماع لاحق اتخذ اتجاها أكثر ايجابية ، ولكن فى ذلك الوقت أيضاً بدأت قرارات مؤتمرات العمال تفقد أهميتها التى كانت تحظى بها من قبل .

ولقد بولغ فى تقدير الفوائد التربوية البحتة التى تقدمها المدرسة الداخلية التقليدية . ذلك أن الأولاد والأساتذة يعيشون فى حياة مغلقة غير طبيعية فى مجتمع مغلق أشبه ما يكون بمجتمع الرهبان . وجميع المسالك الثقافية المستنيرة التى يمكن تصورها لا تستطيع أن تنتج الحرية للفرد لكى يختار بين أن يكون اجتماعيا أو وحيداً أو أن يكون جزءا من الحياة العملية بالبيئة المحلية أو أن ينتمى إلى الأسرة بدلا من أن يصير غريباً فى أيام العطلات بنفس الدرجة التى تستطيعها المدرسة النهارية الجيدة . إن الحياة بالمدرسة الداخلية فى علاقتها بعالم ينتمى إلى القرن العشرين مغلقة على مجموعة صغيرة ، ولكنها بالمدرسة النهارية شاملة . وإذا كان الروس يباركون التربية بالمدرسة الداخلية لما لديها من طاقة ضخمة فى تكييف سلوك خريجيها فإننا لا نوصى بها على الإطلاق .

---

(1) Learning to Live.

والحقيقة الرئيسية هى أن المدارس « الخاصة » برغم المآخذ الخطيرة التى تحيق بها متفوقة من الناحية الاجتماعية لأنها الأماكن التى دأب حكامنا على تلقى العلم بهروما يزالون كذلك بوجه عام . وأكثر من هذا فإن الاتصالات الشخصية بكليات أكسفورد وكامبردج ما تزال تضمن نسبة غير معقولة من الأماكن لخريجيها بجامعتينا الشهيرتين ، وفى نوفمبر ١٩٦١ كان هنـــاك اثنان من بين كل ثلاثة وزراء فى الحكومة من التلاميذ السابقين بالمدارس « الخاصة » وبخاصة إيتون ، وكذا كان ثلثا الاساقفة والقضاة ، ونصف الموظفين المدنيين الحكوميين . ومنذ أربعين سنة مضت لم يكن نظار المدارس مثل راندال ناظر ونشستر Rendal of Winehester يجدون أى تحرج فى التعبير عن عقيدتهم الأرستقراطية واعتقادهم فى تسليم القيادة لصفوة ممتازة . فهل ياترى ستتغير النظرة بعد أربعين سنة من الآن ؟

إن المدارس الإنجليزية المستقلة تقـــع فى فئات ثلاث رئيسية تشكل كل منهـا محوراً مستقلاً ، وفى نطاقها يعمل التشابه عادة على التفوق على الفروق الفردية .

أولا يقع ما يسمى بالمدارس « الخاصة » فى المقدمـة من حيث المقام والتأثير ، وتصل فى عددها إلى حوالى ٢٠٠ مدرسة ونظارها أعضاء فى « مؤتمر النظار » Headmasters, Council والمدارس التى لها وزن كبير حقاً هى مدارس الأولاد الداخلية الممتازة المستقلة من إيتون Eton وهارو Harrow وونشستر Winchester ورجبى Rugby وكليفتون Clifton وتشارترهوس Charterhouse . وقليل منها مثل سان بول st Paul مدارس نهارية . ومدارس البنات « الخاصة » أقل من حيث العدد والتأثير فى الحياة القومية من مدارس البنين . ويتمثل الجناح اليسارى من هذه المجموعة القوية فى مدارس مثل بريانستون Bryanston وأبوتشولم Appotsholme

وجوردنستون Gordonstoun . وهى تقدمية نوعاً مع شهرتها بعدم التقيد بالنظم الصارمة وتشجيع حرية الرأى والجهد البدنى العنيف واتباع طرائق تدريس غير تقليدية فى بعض الأحيان . وهى ترجع بصفة رئيسية إلى عصر الكشافة ولكن اختيار مدرسة جورد ونستون لالتحاق الأمير تشارلس Prince Charles بها قد ضمن لها بلا شك مدة أطول من الازدهار.

أما المجموعة الثانية الرئيسية فإنها صغيرة العدد وقليلة الانتشار والتأثير، ولكن لها أهمية حقيقية فى انتشار الأفكار التربوية . وهى تلك المدارس المختلطة « التقـــدمية » ، وأهمها جميعاً وأكثرها شهرة مدرسة سمرهيل Summerhill التى أنشأها نيل A.S. Neil وهو رجل اسكتلندى قام بمناهضة التزمت لمذهب البيوريتانية لجون نوكس John knox والذى مايزال الكثيرون من أهل بلده يأخذون به — ربما كتكفير عن ذنبهم لاتباعهم الأعمى لروبى برنز Robby Burns وتتمشى أفكار نيل بصفة رئيسية مع تلك الأفكار الخاصة بالمفكرين الكبار من أمثال روسو Rou sau وديوى Dewey وكبار المعلمين أمثال هومر Homer ولـــين Lane ودافيد ويلز David Wills .

واستطاع نيل أكثر من أى شخص آخر أن يطور آراء المدرسين فى هذه البلاد من اعتمادها القديم على السلطه واستخدام العصا إلى الاعتراف غير الأكيد بأن الحاجة الأولى للطفل هى الحب ، ومع الحب الاحترام للنمو الحر لشخصيته ، أى أن يكون حراً من الإكراه المتعسف من جانب الكبار ، وأن ينتظم سلوكه بالخبرة الاجتماعية . ويتجلى سحر المصلح الملهم هناك فى كتب « نيل » ، وفى أحاديثه إلى المعلمين الذين ما يزالون يتجمعون للاستماع إليه ، وفوق كل شىء فى الإخلاص المطلق الذى يميز مجتمع مدرسته الخاصة . ولعل المدرسين ينسون بسرعة المبادىء الطنانة ، ولكنهم

يتذكرون البنت المحرومة من الحب التى دأبت على السرقة مرة بعد أخرى، كل مرة كان نيل يعطيها ثلاثة بنسات ، وبعد أن تلبست بسرقة كبيرة قدم إليها أربعة بنسات — وذلك لكى يبرهن لها أن الشرط الا ضروى Sine quanon قبل أن يتمكن من مساعدتها أكثر مما قدم هو أنه كان فى صفها بغض النظر عما ارتكبته . ولعل روح الصداقة القائمة بين التلميذ والمدرس هى أكبر فارق بين فصول عام ١٩٧٠ وتلك الفصول الخاصة بعام ١٩٣٠ . ويرجع أكبر الفضل فى التغير إلى نيل ، وإلى آخرين بالمدارس المستقلة المشتركة الذين مارسوا مبادىء متشابهة .

فلو أن المدارس المستقلة كانت قد ألغيت ، فهل كان يتاح لنيل أن يقوم دون عرقلة بما احتاج إلى القيام به ؟ إن الحرية فى التربية مطلب أولى لإقامة ودعم المجتمع الحر . إذن يجب المحافظة عليها . على أن هذا يعنى أكثر من تجنب فرض القيود . إنه يعنى الحصول على المقومات الكافة أو الضرورية للحياة بحرية ، أعنى المال .

ولقد سبق أن قدمت الصناعة كميات كبيرة من الأموال لمدارس مستقلة معينة ، ولكن المطلوب هو وجود مخصصات عامة لجميع المدارس المحتاجة التى يجدر مساعدتها . ولا يمكن توفير هذا إلا عن طريق الأمة ككل . وقد يكون إشراف هيئة مستقلة ومنفصلة تماما عن وزارة التربية على الميزانية المخصصة لذلك هو التنظيم العملى الوحيد . ويكون من بين مسئولياتها المالية تقديم المساعدة إلى الأطفال الذين أقرت لجنة مهنية مناسبة احتياجهم إلى تعليم بالمدارس الداخلية عن طريق المالية . ولسوف ينجح هذا النظام مادمنا — كشعب — نفضل المبادىء التحررية، وإذا نحن فقدناها، فإن الحرية ستنعدم داخل نظام التعليم الحكومى وخارجه .

أما المجموعة الرئيسية الثالثة من المدارس المستقلة فهى مجموعة مختلطة

من المدارس الداخلية الصغرى (إعدادية وثانوية) ومدارس نهارية صغيرة مستقلة مخصصة عادة للأطفال الصغار . والسبب فى قيام الكثير جدا من هذه المدارس هو التعليم الاجتماعى أى الرغبة فى عدم اختلاط الأطفال « الذوات » بأولاد الشوارع فيتعلمون الكلمات السوقية واللهجات الخشنة والطباع السيئة (ونفس هؤلاء الآباء يتوجهون إلى الكنيسة إحساسا منهم بالواجب والاحترام لذكرى رجل ضرب بنفسه المثل على اختلاطه بالدهماء والعدام) وثمة آباء آخرون يختارون تلك المدارس لأنهم يريدون إفادة أطفالهم من مميزات الفصول الصغيرة وهم على استعداد لأن يرفعوا ثمن هذه الظروف الممتازة برغم أن هذا يتم فى المدى البعيد على حساب أطفال آخرين .

لقد طالبت بالمحافظة على المدارس المستقلة . ولكن بشرط ألا تباع المزايا المادية بها . وإلى جانب هذا يجب ألا يكون هناك انفصال اجتماعى بين المدرسين كما هو الحال بين مدارس الحكومة والمدارس الخاصة . فإذا ما فرضت هذه الشروط فإننا نتوقع اختفاء معظم المدارس التى لا تستحق البقاء . وما ينبغى علينا ألا نهدمه هو الشخصية المتميزة وربما المناخ الروحى للمدارس ذات الهدف التربوى الحقيقى . إن الحرية التى تتمتع بها مدرستا سمرهيل Summerhill ودارنجتون Darington تتزاوج مع العبادة الانجليكانية فى مدرسة كليفتون Clifton الكاثوليكية بستونيهورست Stonyhurst وجماعة الأصدقاء Quakgr باكورث Ackworth والمثيوديين Methodist بكنجسوود Kingswood . انهم جميعا يساهمون بطريقتهم الخاصة لتحقيق مجتمع حر بلا طبقات ومتنوع ومبتكر . ولا يجب أن تختار أى مدرسة من هذه المدارس أحسن الأطفال أو المختارين منهم دون غيرهم ولا أظن أنها ستفعل ذلك : إن كلا منها يجب أن يكون مجتمعا مختلطا شاملا ، فتقبل الأطفال الذين لا يستطيعون لسبب أو لآخر أن تكون لهم أسرة طبيعية أو تربية مدرسية عادية .

وباختصار نحن بحاجة إلى التخلص من أردأ المدارس المستقلة الخاصة ، وأن نحافظ على أحسنها أو نصلح بعض جوانبها . فإذا ما تم هذا — إلى جانب المدارس المعانة التى تقوم على أساس مشابه — فإن المدارس المستقلة سوف تصبح جزءا ضروريا من نظام كامل للتربية الشاملة . فبدون هذه المدارس يظل المجتمع الحر ناقصا .

المدارس الأكاديمية المعانة : Direct Grant Gramner Schools

ليس لهذه المدارس موقع متوازن بين النظام التعليمى للدولة وبين المدارس المستقلة . فهذه الحفنة الصغيرة من المدارس (١٧٨) من تلك المدارس الأكاديمية التى يقوم القبول بها على الاختيار الدقيق تمثل فلسفة مناقضة تماما للفلسفة التى أدت إلى إعادة تنظيم التعليم على أساس شامل . ومن شبه المسلم به على أن وضعها غير المقبول ينبغى أن ينتهى عند حد ، وأن على تلك المدارس أن تختار بين أن تصبح مستقلة وبهذا تفقد الدعم المالى الذى تتلقاه من الدولة الآن ، وبين أن تصبح تحت اشراف السلطات التعليمية المحلية .

والقليل من المدارس التى تتلقى إعانة مباشرة لها اعتمادات كافية لتمكنها من الاستقلال بمكانتها ومالم يجد المد الشامل ما يعوقه بتغير السلطة السياسية فى وستمنستر فالمرجح أن تصبح جميع تلك المدارس تقريبا قبل مضى مدة طويلة ، مدارس تعينها السلطة التعليمية المحلية وبذا يستوعبها أى شكل من التنظيم الشامل ترغب فيه السلطة المحلية . والقضية الأساسية هى قضية بسيطة ، ومن سوء الحظ — من وجهة نظر كل من المدارس وسلطة التعليم المحلية — أنه لم يتخذ بسرعة قرار وفق هذه الخطوط على يد حكومة العمال ولم يدرج فى التوصية الواردة بالمنشور رقم ٦٥/١٠ .

مدارس المجتمع :

البيت هو عالم الطفل الصغير . ولكنه بالنسبة لجميع أفراد الأسرة الآخرين لا يسد مطالبهم فى حد ذاته على الرغم من أنه يعتبر مصدرا أساسيا للحب والطمأنينة . وكل من الأطفال والآباء بحاجة إلى حياة اجتماعية أكثر ثراء وتنوعا مما تستطيع أن توفره البيوت الحديثة ونعنى بها الأكواخ المبنية بالأجر فى الشوارع الوحيدة بالضواحى . فنحن بحاجة فى كل منطقة مجاورة إلى أناس يشاركون فى مدى متكامل من الأعمال والوظائف ، بل وبحاجة بنفس القدر إلى أماكن يضطلع فيها بتلك الوظائف . والواقع أن فصل « المناطق السكنية » عن المصانع والمحال التجارية ينم عن جهل فاضح بعلم النفس الاجتماعى .

وفى نفس الوقت يجب أن نفيد إلى أقصى حد ممكن من الوضع الراهن . فعلينا أن ندرك أن الفقر الثقافى للمناطق الحضرية والضواحى وافتقار الأخيرة إلى الجماعية يجعل الحاجة إلى التوسع المخطط للخدمات التربوية أمراً أكثر إلحاحا ، ونحن هنا لا نستطيع أن نغضى عن مثال ضاحية بكهام Peckham ففيما بين عامى ١٩٢٦ وعام ١٩٥٠ أظهر مركز الصحة الرياضى فى بكهام Pioneer Health Centre of Peckham — وهو واحد من الضواحى الداخلية بجنوب شرق لندن — أسلوبا من العمل يثير الإعجاب لما يمكن أن يعمل .

وكان لمركز بكهام جناح طبى وحمام سباحة وجمنزيوم ومقصف ومسرح ومكتبة وعدة حجرات يمكن أن تجهز لممارسة مناشط اجتماعية مختلفة وكان له أيضا دار حضانة ومدرسة ابتدائية ، وكانت العضوية به مقصورة على أسر بأكملها من المناطق المجاورة مباشرة — أى على مسافة تقدر المرأة أن تدفع عربة ابنها خلالها . لقد كانت أساسا تجربة فى التقدم الإيجابى بالصحة الاجتماعية وفى إثراء الحياة الجسمية والثقافية لمجتمع مختلط ، ولكن المركز أغلق أبوابه

فقد كان فى الماضى يعتمد على التمويل الذاتى ولكنه أفلس بسبب ارتفاع الأسعار الزائد بعد الحرب وفشله للأسف فى الحصول على دعم مالى من حكومة العمال التى تعهدت بالعمل على التقدم بالرفاهة الاجتماعية .

ان المثل الذى ضربه هذا المركز ما يزال باقيا على الرغم من أن مركزا اجتماعيا كاملا إلى هذا الحد لم يقم بعد فى أى مكان آخر . إن الحاجة إلى رابطة أقوى بين المدرسة والبيت فى المرحلة الابتدائية هامة بوجه خاص .

إن المطلوب إقامة مدارس حضانة ورياض أطفال لأنها تساعد بشكل قوى فى توسيع الخبرة الاجتماعية للطفل ، وهناك يكون فى أمان ويكون منهمكا وسعيدا ، وتستطيع المدرسة أن توفر له مواد للعب أعدت خصيصا له.

ويكون المدرسون مدربين لفهم حاجاته . وأهم من هذا أنه فى هذه الأيام التى انكمشت فيها الأسر يستطيع أن يجد هناك الصحبة الضرورية لنموه الاجتماعى والانفعالى السليم .

ويحتاج الطفل الصغير بدلا من الانتظام فى المدرسة لكل الوقت من سن الخامسة إلى السادسة كما هو حادث الآن إلى تدشينه تدريجيا فى الحياة الاجتماعية المرهقة بالمدرسة . وما من شك فى نفس الوقت أن عدداً كبيراً جداً من الأطفال فى سن الرابعة يحسون بالملل عندما يجدون أنفسهم بلا عمل يملأ حياتهم بالمنزل . فالإجابة المقنعة هى أن ندخل نظام الدراسة لنصف الوقت اختيارياً ابتداء من سن الرابعة ثم تكون اجبارية من سن الخامسة ، وهذا لا يفرض مطالب إضافية سواء على مبانينا أم على عدد المدرسين . فحسب الترتيبات المحلية مع أخذ رغبات الأمهات فى الاعتبار ما أمكن يستطيع كل طفل أن يحضر المدرسة إما فى الصباح (من ٣٠ر٩ إلى ١٢ ظهراً) وإما بعد الظهر (من ٣٠ر١ إلى ٤ م) . وقد يرغب بعض الأطفال فى البقاء لتناول غذاء المدرسة بعد فترة الصباح ، وقد يأتى آخرون

لتناوله قبل فترة بعد الظهر . والعدد الأكبر سيرغبون فى تناول الغداء بالمنزل ولكن الفئة العمرية الزائدة قد تعنى أن مجموع الذين يتناولون الغداء بالمدرسة فيما بين سن الرابعة والسادسة لا يختلف كثيراً عن مجموعهم بين سن الخامسة والسادسة الذين يتناولونه الآن .

على أن المدرسة ينبغى ألا تكون وسيلة لا نتزاع الطفل من أمه أو أن تكون وسيلة لاراحتها من مسئوليتها . إننا ندفع أكثر بكثير من الثمن الاقتصادى لاشتغال النساء المتزوجات إننا ندفع الثمن مع وجود الاهمال وعدم الطمأنينة وعدم الاستقرار الشخصى والاجتماعى للأطفال الصغار فى أثناء وجود الأم والأب بعيداً خارج البيت . إن الإنسان يعمل على مساندة حاجة الناس للمستويات المعيشية الأعلى من جهة وحاجة معظم النساء المتزوجات الى حياة اجتماعية أفضل من جهة أخرى وإذا كنا مع هذا نؤمن حقيقة بأن توفير العناية السليمة والطمأنينة للطفولة المبكرة أمر أساسى لتوفير السعادة ولتجنب الجنوح فيما بعد ، فالواجب علينا إذن أن نمنع أمهات الأطفال دون سن السادسة على الأقل من الاشتغال كل الوقت ، ويجب علينا أن نتحمل ما يتأتى عن هذا من نتائج اقتصادية . وإذا كان لنا من التاريخ أى مرشد فإن الضرورة هى التى تقدم الحل المناسب ـ وربما يكون أكثرها احتمالا هو الإسراع فى استخدام الأجهزة الآلية .

وطبيعى أن يكون من الخطأ والعبث الاقتصار على إصدار الأمر إلى النساء بالعودة إلى المطبخ . إن التوصية الضرورية هى التطور بمدارسنا الابتدائية بحيث تصير مراكز اجتماعية وتربوية للأطفال والأمهات . ويمكن أن تكون نماذج مبسطة جدا من مركز بكهام المشار إليه سابقا. ويحسن أن يلحق بالمدرسة فرع صغير من المكتبة الرئيسية بالمنطقة بحيث تضم

الكتب والمجلات التى يكون لها أهمية خاصة للأمهات . ويحسن عقد « العيادة الأسبوعية » فى حجرة مناسبة بالمبنى . ويمكن أن تقوم الهيئة المسئولة عن تقديم الغذاء بالمدرسة بإدارة مقصف حجرة الاستراحة العامة المجهزة بأثاث جذاب . وطبيعى أن أى استخدام إضافى للمبانى الرئيسية القائمة (وهو المطبخ فى هذه الحالة) يجب أن يقابل بالترحاب إذ أن ذلك يوفر فعالية واقتصادا أكثر . ويمكن عقد المحاضرات والمناقشات من وقت لآخر فى الصباح أو المساء للأمهات اللاتى كان أطفالهن بالمدرسة فى نفس الوقت . وهذه فكرة يمكن أن يأخذها بعين الاعتبار نقابات نساء المدينة Townswohen's Guilds ومعاهد السيدات Women's Institutes واتحادات الأمهات Mothers' Unions .

وهناك شىء من هذا النوع قد تم قبل ذلك كما سبق أن رأينا فى مدرسة لورنس وستون Lawrence Weston وأيضا فى معهد أو معهدين للتربية . ففى نصف نهار من كل أسبوع يمكن أن تحضر عدة أمهات من البيئة المحلية أطفالهن فى سن ما قبل المدرسة إلى قسم الحضانة والرياض أو إلى ملعب أطفال ما قبل المدرسة . ويقوم الطلاب برعاية الأطفال بينما تلعب الأمهات التنس أو الترمبولين أو يدرسن طرق تنظيم الزهور أو يكن منشغلات فى الرسم . ويقوم الخبراء من المؤسسات الكبيرة بإلقاء المحاضرات عن موضوعات معينة كالمودات والتجميل . وقد يلقى طبيب من الصحة المحلية محاضرة عن رعاية الطفل . وتقدر الأمهات جداً زيارتهم .

ويبدو أن حلا كهذا يأخذ فى اعتباره جميع النقط الأساسية التى تشغل بالنا فى الوقت الحاضر : أى الحاجة إلى تدشين الأطفال الصغار تدريجياً بدلا من إزعاجهم بالدفع بهم فى قلب الدراسة مباشرة ، والحاجة إلى توسيع وإثراء الحياة الاجتماعية للأمهات الشابات دون أخذهن بعيداً عن أسرهن

إلى المصنع أو المكتب أو المحل التجارى ، ثم الحاجة إلى تحويل ثروتنا القومية النامية إلى قطاعات من المجتمع حيث تكون ثمة حاجة قصوى إليها . وأخيراً الحاجة العملية جداً إلى انجاز هذه الاصلاحات دون خلق مطالب إضافية على العدد غير الكافى بالفعل من المدرسين والاقتصار على الحد الأدنى من المبانى الإضافية .

ينبغى علينا حينئذ أن نتطلع إلى توفير عشر سنوات من الدراسة الشاملة المتقدمة لكل شخص ابتداء من السادسة حتى السادسة عشرة . وخلال هذه الفترة يجب أن تكون مدارسنا مستعدة لإطعام الأطفال وأن توفر لهم ما يشبع اهتماماتهم الخاصة كما تبزغ . ويجب علينا أن نرفض أية فكرة تتعلق بمنهج نمطى واحد يحصرهم فى نطاق ضيق . وثمة مواهب قيمة خاصة باللغة والموسيقى والفن والتمثيل وغيرها مما تتطلب فى بعض الأحيان وقتاً إضافياً ، وفى السنوات التالية على الأقل فإن الولد أو البنت قد يكون لديه ما يبرر تركه مادة دراسية معينة أو مواد معينة وأن يركز نفسه على مواد أخرى . وبنفس القوة يجب أن نتوقف عن إجبار الأطفال على اختيار مادة واحدة بحيث يتركون مادة أخرى قبل أن يريدوا هم ذلك أو قبل أن يكونوا مستعدين للإقدام على ذلك الاختيار .

والسؤال الذى يطرح دائما هو : هل يجب على المدرسة أن تعد التلميذ لكى يكيف نفسه للمجتمع القائم أو لكى يقوم بتغييره ؟ فى رأيى أنه لا مجال للاختيار . ذلك أن المجتمع سوف يتغير على أية حال .. شأنه شأن كل الكائنات الحية ، والسؤال المهم هو : فى أى اتجاه ينبغى أن يتغير ؟ لن أى رجل من رجال التعليم لا يستطيع أن يقدم الإجابة . إن مهمته هى تقديم المساعدة لتلاميذه لكى يفتحوا عقولهم ويحصلوا الخبرة التى عن طريقها يستطيعون فى الوقت المناسب التفكير بطريقتهم الخاصة .

لهذا أعتقد أن المدرسة الشاملة (وهى مدرسة تحدد خطها دقة أكثر من أى مدرسة أخرى لسد حاجة مجتمع كامل) يجب أن يكون من بين اهتمامها أن تربى التلاميذ للمشاركة الايجابية فى مجتمع ديمقراطى حر ، وهى لا تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا سمحت لهم بالعمل والعيش فى مجتمع يكون ديمقراطيا إلى الدرجة التى تسمح بها أصول التربية والنضج غير الكامل للتلاميذ. ومثل هذا الوضع يترك الفرصة لاختلاف كبير فى الرأى حول تحديد ماهو ممكن ومرغوب ، وقد يكون من الخطأ بالنسبة لأى مدرس ذى عقلية محافظة أن يتزحزح عن مبادئه . ذلك أن الاخلاص من جانبه يضمن الطمأنينة للطفل ، ومع هذا فثمة مجال لدرجة أكبر من الديمقراطية مما هو شائع بمدارس انجلترا ، ولهذا فان المثل الذى تقدمه الأعداد المتزايدة من المدارس الشاملة الرائدة يلقى ترحيبا بوجه خاص .

إن الحاجة الأساسية للديمقراطية الحديثة لا تعنى أن من الواجب علينا أن نختار أو أن ندرب طبقة من القادة يقتفى الباقون أثرها بولاء أعمى ، بل الواجب علينا أن ننشر المسئولية على نطاق أوسع بكثير وأن نشجع الناقشة الذكية والمشاركة الايجابية فى المجالس واللجان من جانب كل شخص فتوسيع الدائرة ينبغى أن يحل محل الاختيار سواء فى النواحى الاجتماعية أم فى المنهج الدراسى فموقف كل مجموعة سوف ينتج « بطله الخاص » أو كرايتونه العجيب His admirable Crichton يأخذ على عاتقه المسئولية عندما تقتضى الحالة ذلك . هذا إذا لم يكن هناك شخص ممتاز معين بالطريق الرسمى يحظى بالسلطة ، ويجب أن تكون هناك مجموعات كثيرة من أحجام مختلفة فى نطاق المدرسة . وتستطيع مجموعة صغيرة أن تعمل ككل . وعند ما تكون كبيرة جدا إلى الدرجة التى تحول دون قيامها بذلك يمكن تفويض السلطة إلى عدة أشخاص فى حالات خاصة

لأهداف معينة . وبهذه الطريقة يتلقى كل ولد وكل بنت بعض التدريب على العمليات الديموقراطية ، كما أن نسبة كبيرة منهم يحتمل أن تتولى القيام بوظيفة إدارية تنفيذية لفترة من الزمن . إن توسيع الخبرة الشخصية أمر أساسى فى العمل الناجح بالنظام الديموقراطى . وإننا لنريد أن يصير الجميع ـ وليس فقط قلة محظوظة أوطموحة ـ مواطنين ايجابيين فى المستقبل .

لماذا يتردد كثير جداً من نظار جميع أنواع المدارس فى الأخذ بهذا الجانب الحيوى من التربية الاجتماعية لتلاميذهم ؟ ربما لا يكون البعض منهم على بينة تامة بالتجارب التى تمت فى مكان آخر ، ولم يسبق لهم الأخذ بنظام آخر غير ذلك النظام الذى اعتادوا عليه. وربما يكون هناك جانب الحرص. فقد يكون من الأسهل والآمن العمل مع أفراد تختارهم بدلا من المغامرة بالعمل مع أفراد قام آخرون باختيارهم . وقد لا تكون موافقاً على هذا الاختيار . وأكثر من هذا فإن ما يعمل على تقوية مكانة الناظر إلى حد كبير أن يكون مالكا لناصية هذه السلطة .« على أن كل سلطة قابلة للانحراف. » وأين نستطيع أن نعثر على الطاغية الذى صار ملكا دستوريا عن رغبة منه ؟ إن من الأسهل والأنجع أن تتخذ القرارات بسرعة بدلا من أن تنتظر عمليات اللجان المرهقة — وبخاصة عندما تكون على معرفة أحسن منهم بالإجابة « إن الديموقراطية لا تستحق سوى هتافين » كما يشعر فورستر E. M. Foster حتى بالنسبة لرجل الشارع . ولا يكاد يتوقع لها أن تثير ترحاباً قوياً من جانب الناظر العادى . إن التربية فى المجتمع الديموقراطى تستدعى أخذ التوجيه من الرجال والنساء الناضجين ذوى الأعصاب الهادئة الصبورين الذين لا تؤرقهم الشكوك اللاشعورية حول أنفسهم وحول الأطفال أو حول استقامة السياسة التى ينفذونها .

إن على المدارس الثانوية ـ بغض النظر عن المدى العمرى الذى تتسع له ـ

وظيفة يجب أن تمتد بها إلى مسافة أبعد من الفصل الدراسى وعن « أفراد من التلاميذ » . لقد اقترحت أن تكون المدرسة الابتدائية مركزاً اجتماعياً وتربوياً للأطفال وللأمهات على السواء . ولكن الأسرة لا ينتهى وجودها عندما ينمو الشخص من مرحلة الطفولة إلى المراهقة . ويخبرنا مستشارو التوجيه فى أمور الزواج أن الزيجات تكون معرضة لأكبر الخطر بعد مرور السنوات العشر الأولى فكل عضو بالأسرة — أى الأم والأب والولد والبنت — يحس بدعوة ملحة إلى حياة أكثر امتلاء مما يستطيع البيت العادى أن يوفره بمفرده ، وانفصال الواحد منهم عن الآخرين ليس أمراً غير عادى ، ومع هذا فقد أظهرت تجربة مركز بكهام Peckham بأن هذا يمكن تجنبه .

إن المدرسة الثانوية التى تقوم بخدمة المجتمع المحلى بأسره هى النواة التى يمكن أن تبنى حولها حياة غنيةوسعيدة للحىالذى توجد به. يجب أن تكون أكثر منمجرد مدرسة، بل كلية للمجتمع خلافا لمجتمع على نمط كامبردجشير Cambridge-Shire وليستر شاير Leicestershire إنها يجب أن تكون مركزاً محلياً للثقافة والترويح والتسلية . ويجب أن تكون مبانيها مفتوحة أمام أى جمعيات قد تظهر إلى الوجود ، فيجب أن تكون هناك حجرات للمباريات وحجرات عامة للاستراحة مؤثثة تأثيثاً مريحاً ، وملاعب رياضية ومكتبة وكل الإمكانيات الأخرى التى تتاح عادة لمجتمع يضم أناساً متنوعين متحضرين. ولا يقل عنهذه الفوائد الاعتراف بأن المدرسة لاتعدو أن تكون جزءاً من كل ينتمى إليه الآباء أيضاً ، وأن أمور التربية كلها تتطلب التشاور بين كل الأطراف المعنية — أعنى الآباء والمدرسين والرواد الكبار وأعضاء اللجان ونحوهم . على أن واحداً مثل الدكتور بظبى Dr Busby لن يكون اختيارا مناسبا للاشراف على مؤسسة ديموقراطية كهذه .

كلية الصف التادس :

وماذا عن الصف الدراسى السادس (الذى يؤدى إلى امتحان المستوى المتقدم من الشهادة الثانوية) ؟ من المهم فى هذه المرحلة التى يهتم فيها التلاميذ والمدرسون بالجانب الأكاديمية أن نستبق اتجاه المنح الدراسية الذى يميز أفضل المدارس الأكاديمى والشاملة والمستقلة . ولقد كشف النوعان الأخيران النقاب عن خطأ الاعتقاد بأن هذا الاتجاه لا يمكن أن يتوافر إلا لصفوة أكاديمية منفصلة . والواقع أن المدارس الشاملة قد دأبت عَلى جذب أعداد مطردة من التلاميـــذ البالغين من بين السادسة عشرة والثامنة عشرة الذين يرغبون فى تلقى دراسات عامة أو تؤهل للعمل فى الصناعة والتجارة ، وهى دراسات يجب أن تختلف تماماً عن تلك الدراسات الخاصة بصيادى المنح الدراسية الالتحاق بجامعة أكسفورد أو كمبريدج (Oxpribge Scholarslip).

وثمة براهين قوية فى صالح توفير دراسة للراهق الأكبر فى كليات منفصلة للصف السادس . ولقد بدأت مؤازرة الأخذ بهذا النظام لأول مرة فى الأربعينات وهو يجد مؤيدين له الآن بسرعة . واليوم لا نجد فقط كلية الأطلسى Atlantic College المستقلة وتجربة مكسبرو Mexborough بل وأيضاً كليات أقيمت بالفعل فى لوتون Luton وغيرها من أماكن كما نجد خططاً للكيات فى أنحاء البلاد [1] .

أما ميزات كلية الصف السادس فهى على النحو التالى . أو لا إن مجتمعا كهذا يصل حجمه (إلى مابين ٣٠٠ و ٥٠٠ طالب) يمكنه فى الواقع أن يقدم برنامجاً متنوعاً وفعالا من الناحية الاقتصادية أكثر مما هو متاح فى الغالبية العظمى من الصفوف السادسة بالمدارس الأكاديمية والشاملة . ويمكن

(١) انظر الملحق

أن تتوافر بها أجهزة حديثة غالية يمكن استخدامها استخداماً كاملا. وبالمثل يمكن تعيين هيئة تدريس متخصصة تخصصاً عالياً لإفادة التلاميذ إلى أقصى حد ممكن .

ثانياً : قد يكون ممكنا فى كلية كهذه أن يعامل التلاميذ كطلاب وأن يعطى لهم نصيب أكبر فى إدارة مجتمعهم عما هو ممكن عادة فى المدرسة . إنهم سيحسون بأنهم قد تركوا المدرسة خلفهم ويتطلعون بشوق لمقابلة تلاميذ الصف السادس الوافدين من مدارس أخرى والاشتغال معهم . ونحن بحاجة إلى توسيع الآفاق أمام المراهق وألا نحد منها . قد يكون هناك إحساس بأن فكرة « البقاء بالمدرسة » تضايق الكثير لا سيما الفتيات فى سن السادسة عشرة ، وأن الواجبات الروتينية مثل حراسة الممرات وحمل الأطفال الصغار على مراعاة النظام ليست وسائل ناجحة فى التدريب على تحمل المسئولية . وحالما يترك الآخرون المدرسة يشعر تلميذ الصف السادس أنه قد صار كسمكة تكبر أكثر فأكثر فى بركة تتضاءل باستمرار .

ومن جهة أخرى ففى الكلية يختلط التلميذ بكثير من تلاميذ الصف السادس الوافدين من مدارس مختلفة . وهذا يساعد على توسيع خبرته الاجتماعية واعطائه نوعاً مختلفاً من المسئولية شبيه بما يلقاه الطالب بالجامعة. والواقع أنى أحس بأن طلبة الصف السادس مستعدون للقيام بدرجة من الحكم الذاتى كتلك التى تمنح بالفعل لطلبة الجامعة اليوم . وينبغى بالتالى أن يعامل طلبة الصف السادس كما يطالبون بإلحاح بالفعل — كأشخاص كبار وليس كأشخاص قليلى الخبرة .

وفى بعض المناطق الريفية قد يكون توافر البيوت للإقامة الداخلية الأسبوعية للأطفال أمراً ضرورياً : فمثل هذه الخبرة مفيدة لكثير من أطفال الريف. فبلوغهم سن المراهقة المتأخرة يكونون فى حاجة أشد عما هم عليه

الآن إلى البعد عن بيوتهم المنعزلة . ولمثل هذا التخفف من القيود خبرة قيمة لهم .

ثالثاً : على الرغم من أن بعض المدارس الأكاديمية تجعل تلاميذها النابهين يتخطون امتحان المستوى العـــادى من الشهادة الثانوية الـ Gce والتقدم مباشرة إلى دراسة الصف السادس المتخصصة فى وقت مبكر ، فإن الغالبية العظمى من المدارس ماتزال تفضل أن تعطى تعليماً عاما حتى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وتضع تلاميذها فى نطاق مدى واسع من الدراسات ذات المستوى العادى . والسبب فى هذا يرجع جزئياً إلى أن الآباء والتلاميذ والمدرسين يرغبون فى أن يكون هناك موجه خارجى لتوجيه التلميذ نحو أفضل دراسة تناسبه فى المستقبل . وإلى جانب هـذا يعتبر أيضاً ضمانا جزئيا ضد التخصص قبل الأوان .

وبعد المستوى العادى للشهادة الثانوية GCE يتخذ المدرسون أسلوبا مختلفا بوجه عام من تلاميذهم هو أسلوب العناية الفردية . وهذا هو أفضل جانب من التعليم بالمدرسة الاكاديمية . وفى أماكن كثيرة نجد أنه كلما زاد لطلب على التعليم العالى بشكل قوى ، يكون الترتيب المنطقى هو مطالبة احدى المدارس الاكاديمية الموجودة بزيادة تركيز جهدها شيئا فشيئا على تدريس تلاميذ الصف السادس فيما بين الخامسة عشرة أو السادسة عشرة حتى مابعد الثامنة عشرة وقد ينتهى بها الأمر إلى تركيز جهدها كله فى هذا الجانب . وثمة سابقة ممتازة فى المدرسة الاكاديمية (الجمنز يوم) gymnasium بالسويد التى تقبل فيما بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة . وقد يكون هذا على سبيل المثال الخطوة التالية المنطقية والجذابة فى ليسسترشير Leicestershire حيث تزدحم المدارس الثانوية العليا Upper بالتلاميذ فيما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، هذا بينما نجد أن المدارس الثانوية الصغرى التى لا تعدو فى الوقت

الحاضر أن تكون أساسا للدراسة من أجل الحصول على الشهادة الثانوية GCE حتى الرابعة عشرة ـ قادرة على تعليم جميع التلاميذ حتى سن السادسة عشرة بما فى ذلك الدراسة للمستوى العادى من الشهادة الثانوية .

وبناء على هذا الترتيب فإن التلاميذ الذين سيتركون المدرسة فى سن السادسة عشرة ـ والمرجح أنهم سيظلون يشكلون الغالبية لفترة — يمكن أن يلعبوا دورا قياديا فى شئون مدرستهم بدرجة لا تتسنى لهم فى ظل تلاميذ الصف السادس .

والحقيقة أن المدارس تنمو شأنها شأن الناس الذين تتكون منهم . لقد كان المدى العمرى العادى بالمدرسة الاكاديمية فى وقت ما يتراوح بين الثامنة والسادسة عشرة . ومنذ الحرب صار هذا المدى مابين الحادية عشرة والثامنة عشرة . ومن الأمور الواقعية أن نطالب المدارس « الحديثة » و« الاكاديمية » بأن تتوقفا عن التظاهر بأنهما متكافئتان ومتوازيتان وأن تبدءا فى العمل متكاملتين تكون فيه الأخيرة (الاكاديمية) امتدادا للأخرى .

الكلية الشاملة للتعليم الممتد (Further ed)

لم أتعرض حتى الآن للتلاميذ الذين سيتركون المدرسة وتنتهى دراستهم عند سن السادسة عشرة حتى عندما تمتد الدراسة الاجبارية لعام اضافى آخر . لقد اقتصر عرض تقرير كروثر Crowther على الآمال البعيدة جداً المتعلقة بإنشاء كليات إقليمية الدراسة بها بعض الوقت فيما بين سن السادسة عشرة والثامنة عشرة. وعلاوة على ذلك منذ عام ١٩٤٤ اعترفنا نظريا وتشريعيا بالحاجة إلى الإمتداد بالتوجيه التربوى لكل شخص حتى الثامنة عشرة . ولقد قرر قانون التعليم لعام ١٩٤٤ بالكليات الاقليمية التى تقدم تعليما إجباريا يوما واحدا فى الأسبوع لمدة أربعة وأربعين أسبوعا فى السنة، وبالنسبة للمناطق الريفية افتراضا ، فإن الدراسة تصل إلى ثمانية أسابيع خلال فترة واحدة أو فترتين

يصل كل منها إلى اربعة أسابيع . وأحس مجلس كروثر ؛ أن هذا ينبغى أن يأتى بعد رفع سن ترك الدراسة . وفى نفس الوقت شجع الامتداد بالدراسات التى تقوم على أساس الإخلاء من العمل لمدة يوم فى الأسبوع Day - release بكليات التعليم الممتد وكان من المؤمل الحصول فيما بين عامى ١٩٧٠ و١٨٠ على خبرة مدتها خمس سنوات فى تطبيق الحضور الاجبارى لبعض الوقت فى بعض المناطق القليلة المختارة يتبعها امتداد تدريجى عبر البلاد جميعها .

وجميع هذه الخطط المتعلقة بالدراسة الاجبارية العامة لبعض الوقت تبدو اليوم أنها تنحو إلى الاخفاق على الرغم من أن قانون التدريب الصناعى Industrial Training Act ساعد فى زيادة عودة مزيد من الشباب إلى الدراسات المهنية . لقد ثبت أنه من الصعب جدا عند التطبيق توفير كليات منفصلة للدارسين لبعض الوقت فقط كما تصوره قانون ١٩٤٤ . ويفسر هذا لماذا عزفنا عن تناول المشكلة . وقد يكون من الصعب وجود مزيد من المواقع لتشييد المبانى التربوية فى المناطق الحضرية وأكثر من هذا فإن العدد الكلى للتلاميذ الذين ينبغى على هيئة تدريس مثل هذه الكلية الاشراف عليهم كبير جدا وذلك فى ضوء معلوماتنا من واقع خبرات الحياة الكلية القائمة للدراسة اليومية المستمرة مثل بورنفيل Boournville وبوتس Boots . فوجود ٤٠٠ طالب كل يوم معناه وجود ٢٠٠٠ طالب فى الأسبوع — وهو عدد كبير لا يمكن المدرسين من معرفتهم معرفة جيدة . والمعرفة والتأثير الشخصى المباشر أهم شىء بالنسبة للمراهقين . وليس من السهل أيضاً أن نرى كيف يمكن اختيار هيئة تدريس من المستوى العالى الضرورى لمثل هذا العمل وحده .

وثمة تطور اكثر احتمالا هو إنشاء الكلية الشاملة لجميع الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة حتى الثامنة عشرة وما بعدها.

ويكون هذا تطورا للعملية التى أشرت إلى معقوليتها سلفا ، أعنى تحويل المدرسة الأكاديمية إلى مدرسة أو كلية للمراهقين الكبار .

ونحن نجد الآن بالفعل أن على المدارس الشاملة أن تقدم تعليما مناسبا لنوع جديد من تلميذ الصف السادس — ونعنى به الولد (أو البنت) الذى لا يميل إلى الدراسة الأكاديمية بالمرة . وإلى هذا الحد لا يكون الانقسام بين الطلاب المدرسين وغيرهم واضحا . وهذا من الناحية الاجتماعية فى سبيل المصلحة تماما . لكن انفصام المسالك بين طالب العلم ورجل المهنة والفنى المتعلم من جهة وهى الفئات التى يرجح أن تظل بالمدرسة فى المستقبل حتى سن الثامنة عشرة ، وبين العامل الصغير غير الماهر أو نصف الماهر من جهة أخرى وهى الفئة التى يترك المدرسة فى السادسة عشرة أو قبل ذلك ، نقول أن هذا الانفصام بين هذين النوعين من فئات التلاميذ ما يزال حادا .

فهم يسلكون طرقا مختلفة فى حياتهم ككبار ، وفى المراهقة المتأخرة يكون لتأثير ذلك وقع شديد الألم على النفس . وهناك خطر حقيق جدا هو أنه على الرغم من الدرسة الشاملة حتى سن السادسة عشرة فإن هذا التباين الحاد فى الخبرة والاهتمامات سوف يعمل فيما بعد على تقويض بعض الأسس الجيدة التى وضعت من قبل . ومن ثم تظهر الاختلافات الطبقية وانعدام الفهم المشترك فى حياتهم فيما بعد بشكل قوى كما كانت فى أى وقت مضى .

ان النوع الجديد من الصف السادس بالمدارس الشاملة هو الإشارة الأولى لعملية تاريخية مألوفة . فالمستويات العليا من التعليم التى كانت فى بادىء الأمر تلقى تقديرا من جانب الأغنياء والقادرين أصبحت بصورة متزايدة مرغوبة لأعداد متزايدة باستمرار من الطبقة العاملة . وسوف تستمر هذه العملية إلى الأمام ، ولكن عندما ننزل فى سلم القدرة الطبيعية للفرد نجد أن تعليم ما بعد السادسة عشرة يستلزم إدراج قدر لا يستهان به

من الدراسة العملية. ومثل هذه الدراسة يجب أن تكون واقعية. وأى مكان يفضل المصنع الجديد أو المكتب العصرى يمكن أن يتم فيه التدريب العملى على نحو جيد ؟ وإنى أستطيع أن أتنبأ بنمو الصلات الوثيقة بين كلية الصف السادس وبين الصناعة، تماما كما نستطيع أن نتوقع فى قطاع آخر كتدريب المعلمين وجود تعاون أوثق بين معهد المعلمين وبين المدرسة التى يتم فيها التدريب العملى .

لقد بدأ الروس فى إدراك أهمية مزج الدراسة النظرية بالعملية فى أواخر المراهقة المتأخرة . ونحن أيضا نناقش التخصص الزائد ونحس بالحاجة إلى نمو كامل لجوانب الشخصية أى للحصول على رجال كاملين فى تكوينهم . وهناك من لعرض طلاب الصف السادس الأذكياء من يقضى وقتا أطول فى دراسة الآداب والوظائف الفنية . وتعتبر مدرسة ليستر جيتوى Leicester's Gateway مثالا رائعا لهذا . وسوف يستمر هذا الاتجاه . ومع استمراره تتلاشى التفرقة بين استمرار التلميذ فى دراسته وبين خروجه للعمل فى الحياة . وسوف يقبل التلاميذ أكثر فأكثر على الاستمرار فى الدراسة عندما يشعرون بأنها تربية شاملة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمهنة . لقد كانت الدراسة كذلك بالنسبة لحامى المستقبل ومدربى المستقبل وإدارى المستقبل . فما سنعمله إذن هو مجرد الامتداد بها إلى الحاجات الأكثر تنوعا لجميع أفراد المجتمع .

ولا يتطلب الأمر إذن خيالا كبيرا لنتصور كلية المستقبل للصف السادس على أنها شاملة جدا فى المناشط التى تقدمها واتساع مدى القدرات التى تجتذبها . وسوف يعمل بها مجموعة من أعظم الشخصيات الموهوبة فى مهنة التدريس من الرجال والنساء الذين يستطيعون بخلقهم ونجاحهم فى العمل أن يكسبوا تقدير تلاميذ السن الحرجة بين السادسة عشرة والثامنة عشرة .

وسوف تضمن عظمتها الأكاديمية مكانة اجتماعية عالية لها بالمجتمع ككل . ومن الناحية الاقتصادية تعتبر أحسن ما قدم من مقترحات من حيث الاستفادة الكاملة التى تبرر استخدام هيئة تدريس وتجهيزات من الطراز الأول .

وقد يكون من المستحسن إذن أن يستبدل الترتيبات المرهقة التى يتطلبها دائما التعليم الإجبارى الرسمى لبعض الوقت ، بالطريقة العملية الحقيقة التى تألفها بالفعل : أعنى امتداد التعليم بطريقة اختيارية . وقد يؤمنه فى الوقت المناسب فرض الإلزام من جانب الحكومة حتى تضمن عدم إهمال أطفال الفقراء والمتبلدين من الآباء . وعلى هذا يجب علينا ببساطة أن يكون لدينا تعليم إجبارى يمتد أولا حتى سن السابعة عشرة وربما فى النهاية حتى سن الثامنة عشرة .

على أن الفرق الكبير بين الامتداد بالتعليم فى الماضى والامتداد به فى المستقبل يجب أن يكون على هذا النحو . ففى الماضى كنا نتحدث عن « رفع سن الإلزام » وكنا على حق فى هذا . ولكن فى المستقبل يجب علينا أن نتحدث عن « كلية التربية للجميع » وتعنى هذه العبارة الجديدة تحقيق الحرية والمكانة الاجتماعية المتقاربة للكبار ، وتوفير برامج دراسية اختيارية . وهى تعنى أيضا إدارة مرنة تستطيع أن تهيء لبعض الطلاب أربعة أيام يقضونها مع كتبهم ويوما فى الورشة ، والآخرين أربعة أيام فى المصنع (الجيد الإدارة) ويوما واحدا مع كتبهم ، والبعض الآخر يقضون نسبا متفاوتة من الدراسة والعمل بين هذين الطرفين .

ونحن بحاجة بالطبع إلى اصلاح قومى دقيق لنظم التلمذة الصناعية . وقد أظهر مسح قام به معهد أمناء توظيف الشبان Youth Employment Officers فى ديسمبر عام ١٩٦١ أن كثيرا من أصحاب العمل يسيئون استخدام

لفظ « التلمذة الصناعية » « apprenticeship » ويفشلون فى توفير التدريب المناسب : إن مفهوم التلمذة الصناعية شيء عظيم ، ولكن حان الوقت الذى يجب أن توضع فيه تحت إشراف مباشر من جانب سلطات التعليم المحلية . ويحسن أن تحل المنح محل الأجور التى تعطى للطلاب الذين يرغبون فى الالتحاق بالكلية بعد السادسة عشرة — فهذه طريقة مدهشة عادلة لمساعدة النمو المرغوب فى المرحلة المبكرة الاختيارية .

على أن لفظ « الصف السادس » محدود جدا وغير مناسب لإطلاقه على مؤسسة من النوع الذى كنت بصدد وصفه . إن عبارة « الكلية الصغرى » قد تكون أيضاً مفرطة فى الدلالة وقد تكون تسمية فى غير محلها . والتسمية المناسبة بالتأكيد هى ببساطة « الكلية الاقليمية » « County College » فهذه التسمية تنم عن الاحترام ولها وقع حسن على الأذن ، وهى ترمز لأهمية سلطات التعليم المحلية فى نظام التعليم القومى . أما دلالتها الخاصة لنصف الوقت فإنها غير منطوقة أو مصرح بها .

ولعل أحسن الاقتراحات جاذبية وتطبيقا بأن تصبح التربية لكل الوقت ولبعض الوقت بعد سن السادسة عشرة مسئولية الكليات الحالية للتعليم الممتد . لكن مدى العمل الذى تضطلع به تلك الكليات حاليا فى هذا المجال لم يتصور بوجه عام : ففى عام ١٩٦٦ كان هناك مالا يقل عن ٦٨٧٫٠٠٠ طالب بين سن ١٥ و ٢٠ سنة يتلقون تعليما نهاريا فى هذه الكليات وكان من بينهم ١٤٤٫٠٠٠ طالب لكل الوقت . وكان لهذه الكليات خبرات كثيرة بأعمال المستويين العادى والمتقدم للشهادة الثانوية وكانت ناجحة مع كثير من الطلبة الذين أتوا إليها فى يأس بعد فشلهم فى هذه الامتحانات بمدارسهم .

وكانت التسهيلات التى قدمتها كليات التعليم الممتد أكثر اتساعا فى مداها مما يمكن أن نجده فى أية مدرسة ذات صف سادس . ويتلاشى فيها بشكل

طبيعى التمييز الزائف بين الدراسات الاكاديمية والدراسات المهنية ويمكن أن نوفر بدقة ماينا سب الاحتياجات الفردية المختلفة للتلميذ. وللكلية المدنية Civic College فى ايبسويتش Ipswich على سبيل المثال مئات من الطلاب المتفرغين للدراسة بوافدين من المدارس الثانوية وكان قبولهم بغير امتحان على أساس توصية من نظار المدارس . وهناك مدى واسع من المواد الدراسية تقدم للمستويين العادى والمتقدم فى الشهادة الثانوية العامة GCE . وبعض الطلاب يوصلون الدراسة بالجامعات وكليات التربية ، بينما يبقى آخرون فى الكلية (سيفيك كوليج) وينالون شهادة فى الفن والهندسة والمعمار والأشغال المكتبية والسكرتارية ونحو ذلك .

ولكليات التعليم الممتد من الناحية الاجتماعية جاذبية كبيرة فى نظر الاعداد المتزايدة من المراهقين الذين يحسون بقيود النظام الروتينى والقوانين والعادات التى وضعت لتناسب الأطفال . والكلية فى نفس الوقت لا تعزل هذه الفئة العمرية عن الطلاب الأكبر كما تفعل أية كلية منفصلة للصف السادس . ولما كانت فترة ما بين سن ١٦ و ١٩ لا تعدو أن تكون تمهيدا لحياة الكبار فإن استمرار الكليات فى الحياة الاجتماعية وكذلك اتجاهاتها التى تساعد على النضج يجب أن تقابل بالترحاب . وليس من الغريب أن نجد أن طلاب التعليم الممتد يتصرفون غالبا بمزيد من المسئولية ، بل وبطريقة أكثر نضجا فى الواقع مما يفعل طلاب السنة الأولى بالجامعة الذين قبلوا مباشرة من الصفوف السادسة بالمدارس .

وأخيرا فإن هذه الكليات قد اثبتت قدرتها على تناول التعليم لكل الوقت ولبعض الوقت معا فى مجتمع واحد . وعندما يتاح لها أن توفر لكل شخص بعد سن السادسة عشرة ثراء وغنى فى الحياة والدراسات الخاصة بالمجتمع الشامل فإن هذه الكليات ستصبح حقا جديرة بالاعتبار .

وفى ظل مثل هذه الاعتبارات قررت سلطتان تعليميتان فى جنوب غرب انجلترا كل على انفراد إنشاء مدارس ثانوية شاملة حتى سن السادسة عشرة على أن تركز التعليم بعد سن السادسة عشرة فى الكلية الاقليمية للتعليم الممتد. وإحدى هاتين السلطتين فى مدينة اكسيتر Exeter والثانية تابعة لمجلس مقاطعة ديفون Devon County Council وفى بارنستيبل Barnstaple فى شمال ديفون North Devou ويتطلب الأمر بالطبع موافقة وزارة التربية على برنامج كل من هاتين السلطتين .

إن المستقبل الحقيق لفكرة الشمول لا تكمن إذن فى المدرسة الثانوية الشاملة كما نفهمها فى الوقت الحاضر . لقد كانت فى الواقع مؤسسة تجريبية وسيطة لا تقدر بثمن ، ويجب على مدارس ليسستر شير Leicestersshire وقد قادتنا مسافة بعيدة فى هذا الاتجاه أن تتطور بدورها أو أن تسلم الشعلة لغيرها . وإنا لنستطيع وقد توافرت الإرادة أن نشكل جميع مدارسنا القائمة والكليات والجامعات وفق نظام قوى قوى .

المعلمون :

إن التربية الشاملة تفعل أكثر من مجرد إتاحة الفرصة أمام جميع الأطفال . إنها تمثل اتجاهاً عقليا مختلفا بل وأكثر اتساعا وخصوبة . لقد دأبنا لمدة خمسين عاما على شغل أذهاننا بقياس القدرات : والتدريج ، وبالاختيار والرفض وتوزيع التلاميذ واعتبر كثير من المدرسين والاداريين أن هذا التصنيف عملهم الأساسى وبتعبدهم فى المحراب القدسى الذى يحمل الرمز السحرى « نسبة الذكاء » « I. Q » الذى أقامته كهانة من علماء زائفين يطلق عليهم اسم علماء القياس النفسى Psychometrists نسوا سلطة التدريس العريقة وقدرة الطفل على الاستمرار فى النمو والتعلم — عندما يوضع فى البيئة الصحيحة .

واليوم بدأ مدرسونا فى جميع أنواع المدارس يتحولون عن الآلهة الزائفة وبدأوا لا يشغلون أنفسهم بالقياس العقيم للقدرة الفطرية لدى الطفل وبالتنبؤات الكاذبة عن أقصى ما سيصل إليه فى المستقبل، وأخذوا يشغلون أنفسهم أكثر من ذلك بصقل جميع المواهب المختلفة لدى الأطفال . وإنى لأقول عن وعى أن هذا اتجاه حديث لامستحدث ، ذلك أنه تجديد حقيق فى التعلم ، وليس ثورة فى التربية . أما أولئك الذين يحتجون بشدة ضد الاتجاهات الحالية ويصفونها بأنها اعتداء على القيم التقليدية فإنهم بحاجة إلى نظرة تاريخية ترجع قليلا إلى ما قبل فترة إدارات الاختبار لوزارة الحربية War Office selection boards .

وإذا كان للمدارس الشاملة أن تنال حظا كاملا من الاصلاحات القائمة فى إطار نظامنا التعليمى ، فإنها بحاجة قبل كل شىء إلى مدرسين مثقفين واسعى الأفق ينظرون إلى أنفسهم كأصدقاء ومستشارين لا كمروضى « السرك » يقدمون النصيحة فى الوقت المناسب ويعتمدون على التشجيع بدلا من الحوافز الزائفة للترهيب والترغيب . وإذا نظرنا إلى صفحات التاريخ نستطيع أحيانا أن نقف على لمحات لما يستطيع التعليم الجيد أن يفعله . فمنذ عام ١٧٩٦ حتى عام ١٨٣٣ لم يكن بمدرسة ريشموند Richmond ويوركشير Yorkshire سوى عدد يتراوح بين خمسين وستين ولدا كل سنة . وفى ظل عالم وأستاذ عظيم مثل جيمس تيت Jamse Tate كان يلتحق خمسة أو ستة منهم كل عام أما بكامبردج أو أوكسفورد ـ ونصفهم حصل على المرتبة الأولى ـ مالا يقل عن ثلاثين تلميذا من « تلاميذ تيت الذين لا يغلبون » Tate's Invincibles ، كما كان يطلق عليهم اختيروا كزملاء لترنيتى Trinity وأكثر منهم صاروا زملاء فى أماكن أخرى . وكان هذا هو خير وثقة ريتشموند بمدرستها الصغيرة حتى أنه كل سنة عند ما كان يحين موعد

امتحان كامبردج لدرجة الشرف فإن البلدة كلها كانت تخرج وتتجمع حول صليب السوق Market Cross فى انتظار ساعى البريد عبر طريق الشمال العظيم Great North Road ليحمل أخباره عن انتصارات أخرى جديدة(١) .

ولكن أمثال « تيت » وثرنج Thrinh وارنولد Arnold نادر جدا ولهذا عندما لم يتوافر لريتشموند مثل أولئك المدرسين الممتازين أخذت فى الذبول والانطفاء . واليوم بينما نفرح بالمتفوقين فإننا لا نستطيع أن نتأمل أولئك الراسيين كما كان يتأملهم أجدادنا بخوف فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . إننا بحاجة إلى مستوى عال ودائم من الكفاءة لرعاية الموهوب وهذا يعنى التدريب . وإذا كان لمستويات الجامعة فى المنح الدراسية والنوعية أن تعم مدارسنا الشاملة الابتدائى منها والثانوى ، فإن أحسن سبيل إلى ذلك هو أحسن معاهد الجامعة وكليات التربية المعنية بإعداد المعلمين التى تجمع بين مجهودات وتعاون جميع المهتمين بما فيها الجامعات والمعاهد وجمعيات المعلمين وسلطات التعليم المحلية ووزارة التربية .

ومهنة التدريس اليوم تعانى من الانقسام الشديد . فهناك مدرس واحد من بين كل ثلاثة مدرسين بالمدارس الثانوية للسلطات المحلية من خريجى الجامعة ، ومدرس واحد فقط فى كل خمسة وعشرين بالمدارس الابتدائية التابعة للسلطات المحلية من خريجى الجامعة أيضاً . وفى المدارس المستقلة المعترف بها تصل الأرقام المناظرة إلى أربعة مدرسين من خمسة ، ومدرس من ثلاثة . وهناك اربعة من كل خمسة من مجموع المدرسين بالمدارس التابعه للسلطات المحلية تعتبر المنح الجامعية موصودة فى وجوههم ولم يسبق لهم

---

(1) L.P. Wenham, The History of Richmond School, Yorkshire (Herald Press, 1958.)

بالمرة أن خبروا الاتصالات الغنية المنوعة مـــع العقول القادرة الموجهة للاهتمامات المتباينة . كان كل عالمهم كلية المعلمين وهو عالم ضيق نسبيا . إنه عالم المدرسين ومن يرغبون فى أن يصيروا مدرسين بما ورثه من ظروف وضيعة ومعدل منخفض للعاملين .. انه بقية عتيقة من النظام الأولى القديم .

هل من الممكن تحقيق تحسن عام فى التعليم العام لشعبنا إذا كان الحافز والغذاء العقلى للمدرسين أنفسهم قد أسىء تشكيله على هذا النحو ؟ إن مجرد إحداث تعديل وتحسين فى ظروف معاهد المعلمين لا يكفى ، فمع أن ذلك مهم ومرغوب فيه هناك خطوات أخرى تتخذ على درجة كبرى من الأهمية .

إننا نرفض الرأى القائل بأن معظم مدرسى التعليم الابتدائى وبعض مدرسى التعليم الثانوى لا يصلحون للدراسة الأكاديمية الجامعية .

فى هذا الرأى اغفال للوضع أثناء الحرب الماضية عندما كان من المألوف أن نجد فى جامعاتنا رجالا لم تكن قدرتهم أو تحصيلهم أعظم من قدرة وتحصيل معظم الطلاب الذين يوجدون الآن فى كليات إعداد المعلمين ، ومع هذا أعطوا الكثير لحياة المجتمع الجامعى وكسبوا منه أيضاً الشىء الكثير .

والحقيقة أن أحسن تعليم يجب أن يكون لمدرسى مجتمع الرخاء والازدهار الذى ستصير عليه بريطانيا فى المستقبل فى اعتماد رخائها أكثر من أى وقت مضى على الذكاء المدرب . وهذا يعنى الآن توفير التعليم الجامعى لكل الذين يمكنهم الإفادة منه ، ثم توفيره فيما بعد لجميع المدرسين تمشيا مع الارتفاع الدائم فى مستوياتهم .

واليوم آت والإسراع به أجدى وذلك عندما يكون لزاما على جميع خريجى الجامعة الذين يرغبون فى التدريس أن يتلقوا تدريبا مهنيا . على أننا

نقع فى خطأ فاحش إذا اتبعنا اسكتلندة فى جعل إعداد المعلمين خارج نطاق الجامعات بدلا من العمل بطريقة أخرى على تحقيق التكامل معها . وكليات التربية فى اسكتلندا واعية بأن مكانتها أقل بالنسبة للجامعات ، وكثير من المعنيين بإدارتها والعمل فيها يفضلون الآن ضمها إلى الجامعات المجاورة . لقد شاهدت عملية ضم كليات إعداد المعلمين إلى الجامعات فى كندا فى مراحل مختلفة وفى مقاطعات مختلفة، وإنى مقتنع بأن هذه الطريقة ميسورة وصحيحة . إن « كلية التربية الجديدة ينبغى أن تكون متكافئة وصحيحة فى حجمها ومساوية تماما فى مكانها لا مع قسم بالجامعة (مثلا — قسم التاريخ أو الدراسات القديمة أو النبات)! ، بل مع كلية كاملة مثل كلية الآداب أو العلوم أو العلوم الاجتماعية أو الطب .

ومن الضرورى أن يتم فى أقرب وقت اشتراط قيام جميع خريجى الجامعات الذين يرغبون فى التدريس بالتدريب على ممارسة المهنة . ومن الضرورى أيضا جعل درجة بكالوريوس التربية B.Ed الجديدة أكثر ارتباطا مع عمل المدرسين ، ومن ثم يجب تشجيع الراغبين والصالحين من طلبة الكليات على الدراسة للحصول عليها ويجب أيضا جعل درجة البكالوريوس فى التربية متاحة أمام آلاف المدرسين الذين لا يمكنهم الحصول عليها إلا بالدراسة بعض الوقت .

لقد اقترحت من قبل أن تعنى المدرسة الشاملة عناية كبيرة بالمساهمة فى نقل تشكيل ثقافة عامة مشتركة، غنية متنوعة كحرير قوس قزح بأساسياتها التى يتقبلها ويشارك فيها جميع أفراد مجتمع حر ديموقراطى . وهذه المهمة مستحيلة مادام المدرسون أنفسهم منقسمين إلى طبقتين فى الواقع : جامعيين وغير جامعيين مع اختلاف إعدادهم وبالتالى اختلافهم فى التقدير والمكانة الاجتماعية . والقضاء على هذا الانقسام يمثل أحد الاصلاحات الأساسية اللازمة لتطوير نظام التعليم الشامل بطريقة فعالة .

الخلاصة :

قال فكتور هوجو Victor Hugo « لا أقوى من فكرة حان وقتها ».

إن القضية المناهضة لانقسام نظام التعليم تشتد قوة يوما بعد يوم . لقد رفض الشعب بشدة امتحان ما بعد سن الحادية عشرة وكل الاعتبارات المتعلقة به . وكذلك سوف يزداد وضوحا التبرم بعنق زجاجة ما بعد الثامنة عشرة الذى يصدر عن نفس القيود التى يفرضها من بيدهم السلطة .

أما ما يتعلق بنتائج الامتحان فإن المدارس الشاملة قد عملت بالفعل على تحطيم حجج أولئك الذين يحذرون من التهديد المحيق بالمستويات الأكاديمية . لقد بدأت هذه المدارس على الرغم من العوائق التى فرضت عليها تظهر أن العيب هو عيب النظام المنفصل بأسلوبه الناقص . إن بعض الأقطاب البارزين المعتدين بأنفسهم فى مضمار التربية الذين يسلمون بدونية جماهير البشر مازالوا يتشبثون باعتقادهم الكئيب فى وجود نطاق محدود من القدرات كما لو أن العقل الانسانى شىء جامد . والواقع أن قدرة هذا العقل على النمو قد كتبت بأحرف كبيرة على صفحات التاريخ . ومدارسنا الشاملة الرائدة تخر الاضافة إلى هذه القصة .

إن نجاحها المستمر الذى أتوقعه بثقة سينتج فيضانا مطرد الزيادة من الشبان الطامحين لمواصلة دراساتهم بعد المرحلة الثانوية . ولقد تقدمت إلى مؤتمر الجامعات الوطنية Home Universities Conference فى عام ١٩٥٨ وفى ذهنى المنجزات الأولى التى حققتها هذه المدارس مطالباً بالتوسع فى عدد الأماكن بالجامعات فى بريطانيا من ١٢٤٫٠٠٠ وهو الهدف الذى أقرته آنذاك لجنة المنح الجامعية University Grants committee إلى حد أدنى قدره ١٧٠٫٠٠٠ مكان فى عام ١٩٦٦ . ولقد قبلت هذا الرقم فيما بعد لجنة المنح الجامعية، وبالتالى فإن الأرقام المنشودة التى قدمتها لجنة روبنز Robins

Committee عن التعليم العالى (٢١٩٫٠٠٠ فى عام ١٩٧٣ — ٧٤و٠٠٠ر٣٤٦ فى عامى ١٩٨٠ — ٨١ تبدو بوضوح أنها ستكون غير كافية ، والواقع أن أرقام عام ١٩٧٣ — ٧٤ قد تمت مراجعتها مما أدى إلى زيادتها .

ونظرة أبعد إلى المستقبل نجد أنه من المستحيل وضع حد أعلى للتوسع المقبل . إن عملية التربية ذاتية الديمومة والاستمرار وكل سجلات التاريخ تشير إلى أن الفرص المتزايدة تؤدى إلى زيادة الطلب باستمرار .

وفى الوقت الذى أصبحت فيه مصادر الإنسان أضخم من أى وقت مضى فإننا بالتالى نحتاج إلى أن نفكر تفكيرا ضخما وأن نعيد اقتناص تأجج ورؤية العالقة أمثال هـ . ج . ويلز H. G. Wells وبرناردشو Bernand Shaw وجلبرت مـــوراى G. Murray و و . ت . ستيد W. T. Stead . لقد أطلق هذا الأخير عبارة «خصيو الخلق» Moral eunuchs على أولئك الذين يخشون تصحيح ما أظهر الدليل أنه خطأ . إن اصطلاح تدميرى « أو تخريبى » بالمعنى المعروف لايعتبر اصطلاحا لاوجود له بالنسبة لبعض مجالات الخدمات التعليمية اليوم . وما عملناه هو مجرد خدش قشرة الاصلاح الضرورى . وخبرات اليوم ليست إلا خطوات متعثرة على الطريق الطويل نحو تعميم التعليم الذى تنبأ به « ويلز » بانه سيكون « منظما بميزان وتعمق ونوعية تفوق كل الخبرة الحالية ، وأنه سيسمح بمالا يدع مجالا للمقارنة باخراج مالم يعرفه العالم آنذاك من القادرين والممتازين من الرجال » .

وهناك تغييرات ضخمة يتطلبها إطار نظامنا التعليمى، لكن هذه التغييرات فى حد ذاتها لا تسمح بأكثر من السماح بامكانية التعليم الجيد ، أى أنها ببساطة توصلنا إلى مدخل البداية . إن مايهمنا قبل أى شىء آخر هو : ماذا يحدث داخل المدرسة .

إن من المهم جداً « ألا تحصر المدرسة نفسها فى مجرد تحقيق فرص متساوية فى تسابق التلاميذ من أجل النجاح . والآن وقد اعترف فى كل مكان ببدعة الفصل بين التلاميذ فى سن الحادية عشره فإن هذه المدارس فى السنوات القادمة ستكون إغراء شيطانيا . وستشهد هذه المدراس وسيقدم لها كل عمالك العلم بما فيها أوكسفورد وكمبريدج ويورك وكانتربرى . ومع أن مثل هذه الجوائز أو التشجيعات مغرية فيجب ألا يسمح لها بتحويل المدارس الجديدة عن غرضها الأكبر وهو خلق ثقافة عامة يمتزج فيها الكم والكيف وتربية تلاميذها فى ديمقراطية، ومن أجل الديمقراطية وخلق مجتمعات محلية سعيدة وقوية حيث تكون المدرسة ثورة الحياة الاجتماعية والتربوية . إن المجتمع الانجليزى فى الستينات هو أبعد ما يكون عن النبل والإلهام. بيدأن الرجل ليس مخلوقا عاجزا . وعلينا نحن أن نوجه القوة الجديدة فى الطريق الذى نعتقد أنه صحيح .

لقد تصايح كارليل Carlyle « ماذا بقى حيا من انجلترا ! وما مقدار مالم يأت بعد إلى الحياة بيد أن هناك أملا : «إن القرون والأزمان كبيرة . وساعة الميلاد قادمة .. لا تزال قادمة » .

معجم المصطلحات التربوية

مدرسة كل الأعمار أو فئات العمر : All - Age - school هى المدرسة التى تحتوى كل فئات العمر من الأطفال بين سن الخامسة حتى الخامسة عشرة، ومن فى سن التعليم الثانوى يكونون قد فشلوا فى الالتحاق بالتعليم الأكاديمى أو الفنى .

المدرسة الثنائية : Bilatral School هى مدرسة ثانوية ذات جانبين متميزين : أكاديمى / فنى أو أكاديمى / حديث أو فنى / حديث .

شهادة التعليم الثانوى Certificate Of Secondary ed. CSE :

هو امتحان يقصد به الغالبية من الأطفال (أى كل الأطفال عدا المتميزين والضعفاء) ويتقدمون له فى سن السادسة عشرة عادة . والدرجة الأولى منه Grade one تعادل امتحان المستوى العادى من شهادة الثانوية العامة. ويتولى إدارة هذا الامتحان أربع عشرة هيئة إقليمية ويتولاه المعلمون بصورة كبيرة .. وكل مدرسة تقرر ما إذا كانت مناهجها وطرق التقديم بها خارجية أو داخلية بصورة رئيسية .

كلية التربية أو دور المعلمين :

College Of Education- Training College

وهى كلية لإعداد المعلمين أو كلية معلمين غير جامعيين ويكونون غالبا فى سن الثامنة عشرة أو ما فوقها ويدرسون لمدة ثلاث سنوات للحصول على شهادة فى التربية والحد الأدنى لمؤهلات القبول هو النجاح فى خمس مواد فى امتحان المستوى العادى لشهادة الثانوية العامة . وأقلية منهم (من ٥ ٪ إلى ٢٥ ٪ فى المناطق المختلفة) يحصلون على درجة الليسانس فى التربية B . Ed . Degree بعد السنة الرابعة .

المدرسة الشاملة أو الموحدة :Comprehensive School

هى المدرسة التى تقبل كل الأطفال تقريبا فى مكان أو منطقة معينة (أى كل التلاميذ ما عـــدا المتخلفين عقليا والمعوقين جسميا والملتحقين بالمدارس المستقلة) وليست منظمة على أساس فروع أو شعب دراسية متميزة . وعلى هذا فإن المدارس الابتدائية للسلطات التعليمية فى انجلترا وويلز والتى تكون الدراسة بها عادة من سن الخامسة إلى الحادية عشرة هى مدارس شاملة . لكن « المدرسة الشاملة » كمصطلح يقصد به عادة المدارس الثانوية التى يقبل بها كل تلاميذ المنطقة بين سن الحادية عشرة والتاسعة عشرة . وقد استخدم هذا المصطلح حديثا استخداما غير محدد على سبيل المثال فى فى تقرير كروثر . وكذلك السلطات التعليمية لداخل لندن ليعنى نوع المدارس التى تقدم برامج دراسية مناسبة لمدى واسع من القدرات وليس من الضرورى أن يلتحق بها كل تلاميذ المنطقة .

الكلية الإقليمية : County College

هى معهد تعليمى على السلطات التعليمية المحلية أن تنشئه بموجب قانون سنة ١٩٤٤ للتلاميذ تحت سن الثامنة عشرة للتلاميذ غير المنتظمين انتظاما كاملا فى الدراسة بإحدى المدارس أو المعاهد التعليمية الأخرى والمفروض أن تكون الدراسة بهذه الكليات إلزامية ولا تتطلب التفرغ الكامل Part-time attendance . ولكن حتى الآن لم تنشأ هذه الكليات . وقد اقترح مؤلف هذا الكتاب مفهوما أوسع فى مقال له بعنوان : أسلوب جديد . وفى هذا الكتاب أيضا :

السماح لمدة يوم : Day Release

يقصد به الترتيب الذى يقدمه أصحاب العمل للسماح بموجبه لبعض

العمال ترك العمل بعض الوقت لمدة يوم عادة بدون خصمه من أجرهم للدراسة فى كلية لتعليم الكبار Further education .

المدرسة الأكاديمية المعانة مباشرة : Direct-grant grammer School

هى مدرسة لا تخضع لرقابة السلطات التعليمية المحلية ولكنها تحصل على إعانة مالية مباشرة من وزارة التربية . ومقدار هذه الإعانة الآن هو ٣٢ جنيها استرلينيا لكل تلميذ دون الصف السادس و ١١٦ جنيها استرلينيا لكل تلميذ فى الصف السادس . ويجب على المدرسة حتى تحصل على الإعانة أن تقدم نسبة من الأماكن المجانية بها لا تقل عن ٢٥ ٪ من سعتها للتلاميذ الذين قضوا سنتين على الأقل فى المدارس الابتدائية التابعة للمجالس المحلية . وتحصل المدرسة المصروفات الدراسية من التلاميذ الآخرين الذين يستطيعون الالتحاق بالقسم الابتدائى الخاص بالمدرسة فى سن ما بعد السابعة :

المديرية التنفيذية للقسم التعليمى : Divisional Executive

هى جهاز خاص أنشىء بموجبه قانون التعليم لسنة ١٩٤٤ فى المناطق والأحياء المختلفة ليتولى تصديق الأمور اليومية للتعليم الابتدائى والثانوى وبعض جوانب تعليم الكبار فى نطاق السياسة العامة التى يضعها مجلس الأقليم وهو المجلس الذى يخول السلطات لهذه المديريات .

المدرسة الأولية : Elementary School

كان التعليم الأولى قبل قانون سنة ١٩٤٤ يركز بصفة خاصة على تعليم القراءة والكتابة والحساب Three R's وكانت تتولاه هيئات تطوعية أو بعض السلطات التعليمية بتكليف خاص ، ويقدم هذا النوع من التعليم للأطفال بين سن الخامسة والرابعة عشرة الذين لم يلتحقوا بالمدارس الثانوية المجانية .

امتحان مابعد سن الحادية عشرة : Eleven-Plus

هو الامتحان وأسلوب الاختبار الذى تستخدمه السلطات التعليمية المحلية ليوزع على أساسه التلاميذ المنتهون من المدرسة الابتدائية فى سن الحادية عشرة . على أنواع التعليم الثانوى المختلفة .

المديرية التنفيذية المستثناة أو فوق العادة : Exceptional Distrcet

حيثما يتولى مجلس المدينة فى أى مقاطعة أو مركز اختصاصات ومسئوليات المديرية التنفيذية للقسم التعليمى فإن مثل هذه المنطقة تسمى بالمديرية التنفيذية المستثناة أو فوق العادة .

ولهذه المديريات المستثناة عادة سلطات أكبر من المديرية التنفيذية يمنحها إياها مجلس الإقليم .

تعليم الكبار أو التعليم الممتد : Further Education

هو نوع من التعليم الذى يقدم للأفراد الذين تركوا المدرسة والمصطلح الرسمى لا يتضمن التعليم الجامعى .

شهادة الثانوية العامة : gerneral Cartiicate of Education G, C. E.

هى شهادة تمنح للناجحين فى امتحان تعقد على المستوى القومى وتتولاه إحدى إدارات الامتحانات الثمانية . والتلميذ الذى لا يحتاج إلى الانتظام فى المدرسة ويمكنه أن يؤدى الامتحان من الخارج فى أى عدد من المواد . ولا توجد هناك قيود على السن لكن بالنسبة للتلاميذ المقيدين فإن المستوى العادى O. Level لهذا الامتحان يتقدم له عادة التلاميذ فى سن السادسة عشرة ويمنحون فى عدد من المواد يتراوح بين مادة واحدة وعشر مواد .

أما المستوى المتقدم A. Level فيتقدم التلميذ له فى سن الثامنة عشرة ويمتحن فى عدد من المواد يتراوح بين مادة وأربع مواد .

المدرس الجامعى : graduate Teacher

هو المدرس الحاصل على درجة جامعية . ويعتبر المدرس الجامعى مدرسا مؤهلا حتى ولو لم يحصل على الشهادة الجامعية فى التربية [1] وهى الشهادة التى يمكن الحصول عليها بعد حضور مقرر دراسى فى التربية لمدة عام. لكن الفشل أو عدم النجاح فى هذه الدراسة التربوية قد يترتب عليه الحرمان من التأهيل للتدريس .

المدارس الأكاديمية : gramn.er School

هى المدرسة الثانوية التى تقدم تعليما أكاديميا بصفة أساسية من سن الحادية عشرة إلى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة وهى الطريق الأساسى للجامعة والمهن الحرة . والمدارس الأكاديمية التابعة للسلطات التعليمية المحلية على ثلاثة أنواع :

١ — مدارس الأقاليم وهى المدارس التى تنشئها السلطات التعليمية المحلية.

٢ — المدارس التطوعية تحت الاشراف وهى المدارس التى انشأتها فى الأصل هيئات تطوعية مثل الكنائس لكنها الآن تمول وتدار كلية بواسطة السلطات التعليمية المحلية . ولهذه السلطات الثلثان فى هيئة إدارة المدرسة .

المدارس التطوعية المعانة : Voluntary-Aided School

وهى المدارس التى أنشأتها أصلا هيئة تطوعية واحتفظت لنفسها بالمبانى والأثاث وتركت للسلطات التعليمية المحلية تولى النفقات الجارية . وللسلطات التعليمية ٢/٤ أعضاء هيئة إدارة المدرسة .

---

(١) ترد فى الأصل الإنجليزى graduate Certificate of Education ولعله يقصد شهادة P.G.C.E. « Post graduate » « المترجم » .

المدرسة الثانوية : High School

يقصد بها فى أمريكا المدرسة الثانوية الشاملة ويستخدم المصطلح بنفس هذا المعنى فى انجلترا أحيانا لكنه قد يستخدم أيضاً ليعنى مدرسة أكاديمية للبنات .

المدرسة المستقلة : Independent School

هى المدرسة التى لا تحصل على أية مساعدات من الأموال أو الميزانية العامة ولهذا تحصل رسوما دراسية وقد يكون لها أيضاً أوقافها الخاصة . وكل المدارس الخاصة يجب تسجيلها فى وزارة التربية ويجب أن تلتزم على الأقل بالحد الأدنى الذى تحدده الوزارة .

وإلى جانب هذا قد تطلب المدرسة التفتيش عليها من قبل مفتشى صاحبة الجلالة Her Majesty Inspector حتى يمكن تسجيل هذه المدارس كمدارس مختارة .

معهد التربية :

هو معهد أو هيئة لإعداد المعلم على المستوى القومى أو المحلى ، تمولها الجامعة عادة ولكنها تمثل كل الهيئات المعنية أساسا بإعداد المعلمين فى المنطقة . مثل الكليات الخاصة للتربية والمعلمين والسلطات التعليمية المحلية ووزارة التربية . وهى ترسم مستقبل العمل الأكاديمى والمهنى للكليات التربوية وأقسام التربية بالجامعة بالنسبة للشهادة والدبلومات ، وتقوم بالتنسيق والمساعدة فى عمل برامج للتدريب فى أثناء الخدمة للمدرسين ذوى الخبرة وتقدم التوصية الخاصة بمعاملة المدرسين المؤهلين لوزارة التربية . وهناك عشرون معهد اللتربية فى انجلترا وويلز .

نسبة الذكاء : I. Q

وهى نسبة ذكاء الطفل مقارنا بمتوسط ذكاء أقرانه ويعبر عنها فى صورة

مئوية (المتوسط ١٠٠) وتحدد هذه النسبة بواسطة اختبارات خاصة للذكاء .

السلطات التعليمية المحلية LEA

يقصد بها مجالس الأقاليم والمقاطعات والمناطق المسئولة عن توفير وإدارة التعليم الابتدائى والثانوى وتعليم الكبار فى المنطقة .

المدرسة التابعة للسلطات المحلية : Maintained School

هى المدرسة التى تنشئها وتديرها أو تعينها السلطات التعليمية المحلية .

المدرسة الحديثة : Modern School

هى مدرسة ثانوية تابعة للسلطات التعليمية للأطفال الذين لم يختاروا فى المدرسة الأكاديمية أو الفنية .

المدرسة المتعددة : Multilateral School

هى مدرسة ثانوية تحتوى على ثلاث شعب دراسية متميزة أو أكثر مثل الشعبة الأكاديمية والفنية والحديثة . ولا يوجد الآن مدارس متعددة فى انجلترا وويلز .

المدرسة الإعدادية : Preparatory School

هى مدرسة مستقلة تقبل التلاميذ مابين سن السابعة والرابعة عشرة وتعد البنين والبنات للالتحاق بالمدارس الخاصة عن طريق الامتحان العادى للقبول (بالمدارس المستقلة) فى سن الثالثة عشرة .

التعليم الابتدائى : Primary Education

هو نوع التعليم حتى سن الحادية عشرة ويشمل مدرسة أو فصول الحضانة (من سن ٢ إلى ٥) ومدرسة الطفل أو رياض الأطفال من سن

٥ إلى ٧ والمدرسة الدنيا أو الفصول الدنيا من سن ٧ إلى ١١ .

المدرسة الخاصة : Public School

وإسمها بالإنجليزية لايدل على حقيقتها ولكنه يطلق غالبا على المدارس الداخلية المستقلة الكبيرة أو المشهورة . وعدد هذه المدارس ثمانون تقريبا ونظارها أعضاء فى مؤتمر النظار المكون من مائتى ناظر مدرسة من النظار الكبار . والمدارس الأقل شهرة ونظارها أعضاء فى مؤتمر النظار يشار إليها عادة على أنها مدارس خاصة صغرى Minor Public School .

والمدرسة الخاصة عامة بأى حال كما يدل عليها اسمها الانجليزى ولاينفق عليها من الأموال العامة ولا يدخلها أبناء العامة عادة .

التعليم الثانوى :

هو التعليم الذى يمتد من سن الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة (نهاية سن المرحلة الإلزامية) ويمتد أيضا إلى سن التاسعة عشرة . وقبل عام ١٩٤٤ لم يكن التعليم الثانوى كما هو الآن المرحلة الثانية الأساسية فى التعليم وإنما كان تعليما راقيا مقصورا على بعض الأطفال الذين يدفعون مصروفات معينة أساسية وتتراوح أعمارهم بين السابعة والثامنة عشرة . وكان تنظيم مستقلا عن التعليم الأولى .

مجموعات الدرس : Setting

يقصد به تقسيم تلاميذ الفصل الواحد إلى مجموعات متقاربة فى الضرورة من أجل دراسة موضوع أو مادة دراسية معينة .

الصف السادس : Sixth Form

المستوى العلوى من المدرسة الثانوية ويلتحق به التلميذ عادة فى سن

الخامسة عشرة أو السادسة عشرة بعد الحصول على المستوى العادى فى الشهادة الثانوية العامة فى بعض المواد ويعد للمستوى المتقدم مابين مادة إلى أربع . وبعض التلاميذ أيضا يستعدون للمنح الجامعية . وتزيد المدرسة الشاملة صفوفها السادسة التى تعدمن مقررات فى المواد غير الأكاديمية .

مدرسة التربية الخاصة : Special School

هى مدرسة خاصة بالأطفال المعوقين جسميا وعقليا .

التوزيع على فصول : Streaming

يقصد به تقسيم الأطفال إلى مجموعات فى كل فرقة دراسية إلى فصول حسب قدراتهم العامة فمثلا إذا كان هناك تسعون تلميذا يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة فصول بكل فصل ثلاثون : فصل أول فوق المستوى وفصل ثان متوسط وفصل ثالث تحت المتوسط .

المدرسة الفنية :

هى مدرسة ثانوية تقدم تعليما عاما يميل إلى الموضوعات الفنية حتى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة . وتأخذ عادة المستوى الثانى من التلاميذ من حيث القدرة العامة كما يقيسها امتحان مابعد سن الحادية عشرة . وذلك بعد أن تأخذ المدرسة الأكاديمية المستوى الأول .

النظام الثلاثى : Tripartite system

عبارة قبيحة لنظام قبيح يقوم على تقسيم التعليم الثانوى إلى مدارس أكاديمية وفنية وحديثة .

ملحق

عن مدى التقدم فى إعادة تنظيم التعليم الثانوى (ديسمبر ١٩٦٨)[1]

(أ) السلطات التعليمية التى بها مدارس ذات نظم موحدة موافق عليها لكل التلاميذ (عددها ٨٠)

السلطة التعليمية	فئة العمر
Anglesey	١١–١٨
Barnet*	١١–١٨
Barrow-in-Furness	١١–١٨
Barking	١١–١٨
Berkshire*	١١–١٦/١١–١٨
Blackburn*	١١–١٨
Blackpool	١١–١٦/١١–١٨
Bradford*	١١–١٨
Breconshire	١١–١٦/١١–١٨
Brent*	١١–١٨
Bristol	١١–١٨
Bromley	١١–١٦/١١–١٨
Burnley*	١١–١٦/١١–١٨ ق.ف
Cambridgeshire*	١١–١٦/١١–١٨
Cardiff*	١١–١٦/١١–١٨
Cardiganshire	١١–١٨
Caernarvonshire*	»
Carlisle	»
Carmarthenshire	»
Cheshire	»
Cornwall*	»

السلطة التعليمية	فئة العمر
Coventry	١١–١٨
Croydon*	١١–١٦
Cumberland*	١١–١٨
Darlington*	١١–١٦/١١–١٨
Denbighshire	١١–١٨
Derbyshire*	»
Devon*	»
Dorset*	»
Dudley*	»
Ealing	»
Eastbourne*	١١–١٦
Essex	١١–١٦/١١–١٨
Flintshire	١١–١٨
Glamorgan	»
Gloucestershire	١١–١٦/١١–١٨
Hampshire	» »
Haringey	١١–١٨
Hartlepools	»
Havering	»
Herefordshire*	١١–١٦/١١–١٨

(١) يعبر المؤلف عن امتنانه وشكره لوزارة التربية على إعطائه هذه المعلومات .

(٥) تظهر تحت تصنيفات أخرى .

ف.ق تعنى فصل دراسى قصير فقط .

السلطة التعليمية	فئة العمر
Hertfordshire*	١٨-١١
Hounslow*	»
Huddersfield*	١٦-١١
Huntingdon and Peterborough	١٨-١١/١٦-١١
Isles of Scilly	١٦-١١
Lancashire	١٨-١١/١٦-١١
Lincolnshire (Lindsey)*	١٨-١١/١٦-١١
Lincolnshire (Kesteven)	١٨-١١
Liverpool	١٨-١١/١٦-١١
London (I.L.E.A.)	١٨-١١
Luton*	١٦-١١
Manchester	١٨-١١
Merioneth	»
Marthyr Tydfil	»
Montgomeryshire	»
Monmouthshire	»
Newcastle Upon Tyne	»
Newham	»
Newport*	»
Northamptonshite*	»
Norwich*	»
Nottinghamshire*	١٨-١١/١٦-١١
Oldham	١٨-١١/١٦-١١
Oxfordshire	١٨-١١
Pembrokeshire	١٨-١١/١٦-١١
Preston*	١٦-١١
Radnorshire	١٨-١١
Rotherham*	١٦-١١
Shropshire*	١٨-١١/١٦-١١
Solihull	١٨-١١
Somerset*	»
South Shields	»
St Helens*	»
Staffordshire	»
Sunderland	»
Sussex East	»
Sussex West	»
Swansea	»
Tynemouth*	١٦-١١
Warwickshire*	١٨-١١/١٦-١١
Wiltshire*	» »
West Bromwich*	١٨-١١/١٦-١١
Yorkshire East Riding	١٨-١١
Yorkshire West Riding	١٨-١١/١٦-١١

(ب) السلطات التعليمية التى بها نظم متوسطة موافق عليها (عددها ٤٠)

السلطة التعليمية	فئة العمر
Bedfordshire	١٣-٩
Birkenhead	١٢-٨
Bradford*	١٣-٩
Cumberland*	١٣-١٠
Dewsbury	١٢-٨
Doncaster	١٣-٩

السلطة التعليمية	فئة العمر
Dorset*	٩-١٣
Great Yarmouth	٩-١٣
Grimsby	٨-١٢
Hampshire	٨-١٢
Haringey	٩-١٣
Hastings	٨-١٢
Herefordshire*	٩-١٣
Hertfordshire*	»
Isle of Wight	»
Kent	»
Kingston upon Hull	»
Lancashire Division	٩-١٣
Lincoln County Borough	13
Lancashire (Hollond)	٨-١٢
Merton	٩-١٣
Northampton County Borough	»

السلطة التعليمية	فئة العمر
Northamptonshire*	٩-١٣/١٣-١٠
Northumberland	٩-١٣
Norwich	٨-١٢
Oxford Cunty Borough	٩-١٣
Sheffield	٨-١٢
Shropshire*	٩-١٣
Somerset*	»
Southampton	٨-١٢
Stoke on Trent	»
Suffolk West*	٩-١٣
Suffolk East*	»
Surrey	٩-١٣
Sussex West*	١٠-١٣
Wallasey	٩-١٣
Warwickshire*	»
Worcestershire	»
York County Borough	»
Yorkshire West Riding*	»

(ج) السلطة التعليمة التى بها مدارس ذات نظامين موافق عليها (عددها ٣٧)

السلطة التعليمية	فئة العمر
Barnet*	١١-١٤/١٤-١٨
Barnsley	»
Berkshire*	»
Blackburn*	»
Bradford*	١١-١٣/١٣-١٣/١٦-١٨
Brent*	١١-١٣/١٣-١٨ ف ق
Burnley*	١١-١٣/١٦-١٨ ق.ف
Cardiganshire*	١١-١٣/١٣-١٨

السلطة التعليمية	فئة العمر
Caernarvonshire*	١١-١٣/١٣-١٨
Croydon*	١١-١٤/١٤-١٨
	١١-١٣/١٦-١٨ ف ق
Cambridgeshire*	١١-١٤/١٤-١٨
Cumberlrnd*	١١-١٣/١٣-١٣/١٦-١٨
Derbyshire*	١١-١٤١/٤-١٨

السلطة التعليمية	فئة العمر
Devon*	١١-١٤/١٤-١٨
Dorset*	»
Doncaster*	١١-١٦/١٣-١٨ ف ق
Enfield	١١-١٤/١٤-١٨
Gateshead	»
Hounslow*	»
Huntingdon and Peterboough	١١-١٣/١٣-١٦/١٦-١٨
Isle of Wight*	
Kent*	١١-١٤/١٦-١٨ ف.ق
	١١-١٤/١٤ ١٨
	١١-١١/١٣-١٦/١٣-١٨
Lancashire*	
Leicestershire	١١-١٤ ١٤-١٨
Liverpool*	» ف.ق
Middlesbrough	١١-١٣/١٦-١٨

السلطة التعليمية	فئة العمر
Newport*	١١-١٣/١٣-١٦/١٦-١٨ ف ق
Northamptoushire*	١١-١٣/١٣-١١ ١١-١٤/١٤-١٨ ف.ق
Northampton County Borough*	١١-١٣/١٣-١٦/١٦-١٨
Nottinghamshire*	
Oxfordshire*	١١-١٤/١٤-١٨
Rochdale	١١-١٤/١٦-١٨
St Helens*	١١-١٣/١٦-١٨
Suffolk East*	١١-١٤/١٤-١٨
Wakefield	١١-١٣/١٦-١٨ ف ق
Waltham Forest	١١-١٤/١٤-١٨
Wiltshire	١١-١٣/١٦-١٨
	١١-١١/١٤-١٨

(ى) السلطة التعليمية التى بها صف سادس موافق عليه بالكليات (عددها ١٩)

السلطة التعليمية	السلطة التعليمية
Cardiff	Lincolnshire (Lindsey)
Cornwall	Luton
Darlington	Nottinghamshire
Dewsbury	Preston
Eastbourne	Redbridge
Essex	Rotherham
Hampshire	Southampton
Hudderfield	Stoke on Trent
Herefordshire	Tynemouth
Lancashire	

قائمة بالمصادر المقترحة

Education Act, 1944 (H.M.S.O.)

Ministry of Education Pamphlet No.I The Nation's School-their plan and purpose (H.M.S.O., 1945)

Simon, B. : The Common Secondary School (Lawrence & Wishart, 1955)

Pedley, R. : Comprehensive Education : A New Approach (Gollancz, 1956)

Rawson, W. : The Werkplaats Adventure-an account of Kees Bocke's great pioneer comprehensive school, its methods and psychology (V. Stuart, 1956)

Vernon, P. E. (ed.) : Secondary School Scelection-a British Psychological Society inquiry (Methuen, 1957.)

Young, M. : The Rise of the Meritocracy (Thames & Hudson, 1958; Penguin Books, 1961.)

15 to 18 : a report of the Central Advisory Council for Education (England) (Crowther Report) (H.M.S.O. vol I, 1959; vol. II, 1960.)

Miller, T.W.G. : Values in the Comprehensive School (Oliver & Boyd, 1961.)

Neill, A.S. : Summerhill - A Radical Approach to Education (Gollancz; 1932; Penguin Books, 1968.)

Committee on Higher Education : Higher Education (Robbins Report (H.M.S.O., 1963.)

Pedley, F.H. : The Educational System in England and Wales (Pergamon, 1964.)

Husen, T. : Problems and Differentiation in Swedish Compulsory Schooling (Svenska Bokforlaget, Stockholm, 1964.)

Jackson, B. : Streaming (Routledge andkegan Paul 1964.),

The Organisation of Secondary Education (Department of Education and Science Circular 10/65, H.M.S.O., 1965.)

School Building Programmes (Department of Education and Science) Circular 10/66. H.M.S.O., 1966.)

Incorporated Association of Assistant Masters : Teaching in Comprehensive Schools - asecond report (C.U P., 1967.)

Inner London Education Authority : London Comprehensive Schools, 1966 (ILEA; 1967)

Sixten Marklund and Pàr Soderberg : The Swedish Comprehensive School (Longmans, 1967.)

Conant, J.B. : The Comprehensive High School (McGraw - Hill, U.S.A., 1967.)

Mays. J B. : School of Tomorrow : a Study of a Comprehensive School in a North West Newtown (Longmans, 1968.)

Douglas, J.W.B.; Ross. J.M. and Simpson, H.R. : All Our Future (Peter Davis, 1968.)

Public Schools Commission : First Report (H.M.S.O., 1968.)

New Wine in Old Bottles? Three studies in integration within the Public schools (Bell, 1968.)

Monks, T.G. : Comprehensive Education in England and Wales (National Foundation for Educational Research, 1968.)

Berg, L. : Risinghill : Death of a Comprehensive School (Penguin Books, 1968.)

Rubinstein, D. and Simon, B. : The Evolution of t9e Comprehensive School, 1926-66 (Routledge & Kegan Paul, 1969.)

Headship in the 197 Os. ed. Allen (Blackwell, 1969.)

Educational Research Journals, (Newnes for the National Foundation for Educational Research)

Forum : for the discussion of new trends in educational Publications, 86 Headlands Road, Leicester.)

Comprehensive Schools Committee : Bulletins and Surveys (123 Portland Road, London, W. I.)

Where? (Advisory Centre for Education, Cambridge.)

Annual Reports of the Ministry of Education, (later Department of Educatin and Scienee) and STATISTICS of Education for England and Wales (H.M.S.O.).